صلات الصفا فی نور المصطفی

تالیف: امام احمد رضا خان البریلوی

صلات الصفا

في

نور المصطفى

(عليه التحية والثناء)

تاليف

شيخ الإسلام والمسلمين

الإمام أحمد رضا خان القادري

(نوّرَ الله مرقدَه)

(1272هـ /1340هـ = 1856 / 1921م)

ترجمة وتحقيق

أنوار أحمد خان البغدادي

ناشر

مركز أهل السنة بركات رضا

فوربندر، غجرات، الهند

اسم الكتاب : **صلات الصفا في نور المصطفى**
تأليف : شيخ الإسلام الإمام أحمد رضا خان القادري البريلوي
ترجمة وتحقيق : أنوار أحمد خان البغدادي
الكاتب : إرشاد أحمد البركاتي
المشرف على الطبع : العلامة عبد الستار الهمداني البركاتي النوري
سنة النشر : 1430 هـ / 2009م
الناشر : مركز أهل السنة، بركات رضا، فوربندر، غجرات، الهند.
البريد الإلكتروني : hamdani786@hotmail.com

مراكز ترسيل :

(1) المكتبة الفاروقية ، متيامحل ، جامع مسجد ، دهلي 6 ، الهند .
(2) المكتبة الأمجدية ، متيامحل ، جامع مسجد ، دهلي 6 ، الهند .
(3) دار العلوم الغوث الأعظم ، فوربندر ، غجرات ، الهند .

الإهداء

إلى روح الإمام الهمام العارف بالله ، إمام الحفاظ ، حجة المحدثين ، خاتم المحققين ، العلامة الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي (قدس الله سره ، وسقى ثراه ، وجعل الجنة مثواه) .

الذي له فضل السبق في نشر الأحاديث النبوية المطهرة في شبه القارة الهندية بالقلم واللسان ، وقدم للإسلام والمسلمين مؤلفات في السيرة وغيرها من جوانب الدين ، تروي الغليل ، وتشفي العليل ، وتقر العيون ، وتسر القلوب .

الذي كان وجوده بركة ونعمة على مسلمي جنوب آسيا ، وند على من سواهم ، حيث خرَّجَ آلاف التلاميذ النابغين في الأحاديث النبوية الشريفة ، الذين قاموا بدور مهمٍ في نشر الدين في أنحاء العالم .

فشكرا للمولى الكريم- عزَّ وجلَّ – على هذا الفضل العميم ، الذي لا تنقطع سبله إلى يوم يبعثون .

أنوار أحمد خان البغدادي

كلمات
الشكر والامتنان

انطلاقا من قول الرسول الأعظم -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم-: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله " [1] أتشرف بإهداء كلمات الشكر والامتنان إلى جميع الإخوة الأحباء الذين ساعدوني في إخراج هذا الكتاب ، وبالأخص الأخ العزيز إرشاد أحمد البركاتي ، الذي له مساهمة مشكورة من جهات عدة ، وأخي العزيز مولانا عبد المعيد الأزهري (أستاذ الأدب العربي بدار العلوم الغوث الأعظم في مدينة فوربندر) الذي ساهم بالقراءة الثانية لنصوص الكتاب بقدر الاستطاعة ، فبارك الله تعالى فيهما ، وأثقل ميزان حسناتهما يوم القيامة . (آمين) .

---

(1) رواه الإمام الترمذي في جامعه عن سيدنا أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – في كتاب البرِّ والصلة ، الباب 35 ، رقم الحديث : 2018 ، مطبوعة المكتبِ الإسلامي ، القـاهرة ، 2 / 510 . وقال فيه : هذا حديث حسن صحيح . ورواه أبو داؤد في سننه باختلاف يـسير في الألفاظ عن سيدنا أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – في كتاب الأدب ، رقم الحـديث : 4813 ، مطبوعة المكتبِ الإسلامي ، القاهرة ، 2 / 810 .

K

كلمة الناشر

الحمد لله الذي خلق نور نبينا ، ثم خلق الأكوان من السموات والأرض ، والصلاة والسلام أفضل الخلق ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه أجمعين .

أما بعد !

فقد أثبت الدراسات المكثفة حول الإمام أحمد رضا خان البريلوي (رحمه الله تعالى) أنه يمتاز بالفكر القويم ويتصف بالاتزان والاعتدال وبالتعمق والتوسع ، فإنك لا تجد عنده السطحية في بحث المسائل الدينية ، وإنما من شانه أن يعطي المسألة كل حقها حتى يتضح المقصود بكل جوانبه ، ويتبين الحق بكل معالمه ، لا يشوبه الغموض ، ولا يعتريه الخلل ، لا يبحث في مسألة إلا بالتحري الدقيق ، فإذا قطع الكلام في شيء من الأمور ، فهو الأحرى والأجدر ، لأنه لا يختار طريقة سطحية في التعامل البياني ، وإنما يغور في الأعماق ، فلا يخرج إلا بالأصداف القيمية .

على سبيل المثال إليك هذا التحقيق الأنيق ، أعني كتابه البديع

"**صلات الصفا في نور المصطفى**" الذي أحسن فيه وأجاد في بيان مسألة النور المحمدي بأسلوب رائع مستدلا بالدلائل النقلية والعقلية . فبهذا الكتاب قد وضع المؤلف العلام حدا فاصلا بين بشرية النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – وبقية البشر ، فإنه ليس بشرا مثلنا ، وإنما هو بشر نوراني . هذا هو الاعتقاد الذي أجمع عليه السلف والخلف من أساطين الأمة . إذن لم يبتدع المؤلف شيئا جديدا ، وإنما أثبت ما كان لدى القدامى ثابتا محققا . ولنا كتاب في هذا الموضوع باسم " خير بشر كي نوراني بشريت " الذي أوضحت فيه مسألة النور المحمدي - صلى الله تعالى وسلم – حسب المستطاع .

ونحن نشكر الأستاذ أنوار أحمد خان البغدادي على عمله هذا ، فإنه جَدَّ ، وسعى في إعداد هذا الكتاب ، حتى نراه في أحسن صورة على الأسلوب الجديد ، مترجَما ، ومحققاً ، ومخَرَّجا ، ومضبوطًا بالفهارس ، ومقدَّما له بتقديم جميل ، فبارك الله تعالى فيه ، وجزاه عنا وعن المسلمين خيرا كثيرا .

وإنني لسعيد جدا بإعادة طبع هذا الكتاب القيّم ، ونشره من المركز المذكور ، الذي يسعى دائما إلى تصحيح الفكر بطبع الكتب النافعة ، راجين من الله القدير أن ينفعنا به والمسلمين ، وأثقل به ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مال ولا بنون .

عبد الستار الهمداني البركاتي النوري

مؤسس " مركز أهل السنة ، بركات رضا "

فوربندر غجرات (الهند)

9 / 2 / 1430هـ / 5 / 2 / 2009م

تقريظ

فضيلة الشيخ جميل عارف المصري الشافعي الأشعري

(من فلسطين الحبيبة)

C

الحمد لله رب العالمين الذي نوَّر قلوبنا بنور اليقين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد ،

فإن من نعم الله علينا أن أكرمنا الله بعلماء ، وحفظ الله بهم هذا الدين من التحريف والتزييف والدس والتخريب ، فكانوا حماته

وحصونه المنيعة وقلاعه الشامخة وجباله الشم الراسية ، وكانوا هداة مهديين للحق والخير إلى يوم الدين .

ومن هؤلاء الإمام الكبير ، العالم الرباني ، والحبر الكبير ، النظار المتكلم، الفقيه الأصولي البارع ، الإمام الجليل أحمد رضا خان القادري الحنفي البريلوي (رضي الله تعالى عنه) كان سندا للإسلام ، مدافعا عنه في كل ما أوتي من نور رباني، وعزم إيماني ، ونفس مصطفوي أظهر الله الحق بتآليفه ، وأبان الخفي والجلي بتصانيفه ، موافقا للصواب ، ومنها السفر القيم (صلات الصفا في نور المصطفى) عظيم النفع قوي الحجة ، أفاد فيه ، وأجاد، وأثبت الصواب ، وافق العلماء الأكابر الذين أثبتوا ، كما أثبت بالدليل الذي لا غنى عنه لكل طالب علم مستمسك بالحق المبين .

إن أول خلق الله نور نبينا محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ وإن هذا جائز عقلا ، كما هو مثبت شرعا في كثير من الأحاديث الشريفة ومبين فيه بالأدلة القاطعة العقلية والنقلية ما يثلج الصدور ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

ولقد قام بإخراج هذا السّفر الجليل الشيخ العالم الأريب الأديب مولانا أنوار أحمد خان البغدادي وكان تحقيقا جيدا في ترجمته وألفاظه ومعانيه، وكانت مقدمته سهلة جميلة حتى إنها سهلت المطلوب وأجادت ، كما هو مكتوب حتى أغنتني من الغوص في أصل الكتاب فكانت شافية مغنية عن الكتاب لسهولة تناوله ودقة معانيه ومبانيه وجزولة ألفاظه وعباراته وساعدني ذلك في تدريسه وإيصال المقصود والمطلوب ، فكان ذا فائدة عظيمة أثبت لنا الصواب بكل حرف وكلمة وكل حديث وآية شريفة في أن الشخصية الشريفة المصطفوية أول الخلق فلا يستغني عنه كاتب وباحث وشيخ وعالم وطالب ودارس وعاشق لرسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ . فبارك الله فيه وبهمته العالية في نشر تراث الأكابر الذين هم أهل الكمال والمفاخر ولا سيما تراث الشيخ الكبير جبل العلم الشامخ مولانا أحمد رضا خان

- رضي الله عنه وأرضاه وجعله في ميزان حسناته (آمين يا رب العالمين) .

جميل عارف المصري الشافعي الأشعري

الأول من ربيع الأول الشريف 1429هـ
10 / 3 / 2008م

تقديم

أستاذنا الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي

(رحمه الله تعالى)

رئيس قسم اللغة العربية الأسبق

(جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، بغداد ، العراق)

g

هذه الرسالة لأحمد رضا خان البريلوي (ت : 1340هـ) وضعها مؤلفها في أنوار نبينا محمد - صلى الله تعالى عليه وسلم - وفي فضائله التي لا تعد ولا تحصى ، وفيما تميز به من بين الأنبياء من فضائل الخير ، والعدل ، والإحسان وأسماها البريلوي بـ (صلات الصفا في نور المصطفى) والبريلوى إمام مجتهد ، وفقيه فيلسوف ، وموسوعي الثقافة والعلوم ، له مكانة كبيرة بين علماء الهند في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، فقد ترك وراءه ما يقرب من ثمان مائة كتاب ورسالة في مختلف المعارف والعلوم والآداب والفنون الإسلامية ، فضلا عن كونه شاعرا مجيدا ، له باع طويل في نظم المدائح النبوية وأغراض الشعر الأخرى جميعها .

حققتُ له (قصيدتان رائعتان) ، وطبع الكتاب في بغداد ، أوضحت من خلال المقدمة مكانة هذا الرجل بين علماء الهند وعلماء المسلمين في العالم . وله أتباع ومريدون من الشباب المسلم في الهند وخارجها ، لأنه يعد واحدا من رجال التصوف الإسلامي في القرنين الذين عاشهما ، امتدادا لآبائه وأجداده من حملة الفكر الإسلامي ، وعلوم القران والحديث .

أسس البريلوي هذا الكتاب – لأجل تحقيق النور المحمدي – صلى الله تعالى عليه وسلم – على أسئلة تثير مسائل في شخصية النبي العظيم وتمييزه من بين البشر ، وهو يجيب عليها ، بما يرفع الغشاوة ويجلوها للسائل نحو قوله : ماذا يقول علماء الدين في مسالة أن الله تعالى خلق النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – من نوره ، وخلق بقية

المخلوقات من نور النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – فبأي حديث يثبت ذلك ؟ وما هي نوعيته ؟ بينوا تؤجروا ، وقد وجه السائل ذلك في 28 من ذي القعدة : (1317هـ) وشرع البريلوي بالجواب بما يقرب من صفحتين ، ثم تلاه السؤال الثاني حول كون النور مخلوقا من نور الله تعالى ، وهكذا يستمر في طرح الأسئلة الموجهة إليه وأجوبتها ، وقد بلغت الأسئلة خمسة ، تختلف أجوبتها بين الصفحتين والعشر ، كما ذكر ذلك في السؤال الرابع .

ولقد قام الباحث الهندي – طالب الدراسات العليا في جامعة صدام للعلوم الإسلامية أنوار أحمد غلام محيي الدين البغدادي - تلميذنا النجيب بتحقيق هذا النص باللغة العربية ، وألحقه بتقريظ للمؤلف نفسه على تعليق وضعه على رسالة السيد حبيب علي العلوي ، بدأه بقوله : " اللهم لك الحمد ، فقد طالع الفقير غفر له المولى القدير ما كتبه الفاضل العالم العامل حامي السنة ماحي الفتنة مولانا حبيب علي العلوي المحترم - أيده الله تعالى بالنور العلوي - كتابة منيرة ، فجزاه الله عن نبيه الجزاء الأدنى ".

واستغرق التقريظ في صفحتين ، ثم أتبعه المحقق أنوار أحمد بكل الأقوال والشروح والتفسيرات التي علقت على الرسالة حتى نهايتها ، ثم ألحقها بأهم مصادر البحث والتحقيق التي بلغت أربعة وثلاثين مصدرا ومرجعا [1] .

إن عمل المحقق أنوار أحمد ، يعد عملا جيدا بما استطاع به المحقق من تخريج للآيات والأحاديث ، وبما ألحقه من تفسيرات للغامض من الأقوال والنصوص . وبما قوّم به الحديث النبوي الشريف بين القوة والضعف وبما ترجم من أقوال وأفكار وأشعار من اللغة الأردية إلى العربية .

---

(1) قد أضفنا عليها في هذه الطبعة مصادر أخرى .

وتضمنت مقدمته على الرسالة مباحث مهمة تناول فيها : أهمية الرسالة (صلات الصفا) ووقفات على مسألة النور المحمدي وأقوال العلماء فيه ، ثم تناول شخصية البريلوي من نشأته ، وشيوخه ، وأساتذته ، وتلامذته ، ومؤلفاته ، وبراعته في العلوم والفنون والآداب والمعارف الموسوعية ، ثم موقفه من التيارات الفكرية الهدامة ، وأنهى المقدمة بما للبريلوي من دور في رد البدع والزيغ والضلال والمنكرات، فوفاته في 25 صفر سنة 1340 هـ / 28 تشرين الأول عام 1921م، أنهاها بعبارته : " بعد حياة نسجت أيديها على ظهر الزمان خمسا وستين سنة فيها ورود مطرزة ، تتمتع بالحيوية والنشاط ، نقوش مزخرفة تسر الناظرين ، فليكثر الله تعالى أمثاله ، و يخلد ذكراه ، ويجعل الجنة مثواه " .

أ. د. رشيد العبيدي (رحمه الله تعالى)

رئيس قسم اللغة العربية الأسبق
(جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، بغداد ، العراق)
1423 هـ /2002م

مقدمة
الطبعة الثانية للمترجم

K

الحمد لله الذي خلق نور نبيه من نوره دون تجزؤ وتفكك ، فجعله أصل الأكوان ، وفضّله على الأنبياء والرسل ، فزيّنه بأكمل الأوصاف ، فإن محامده كثيرة لا تحصى ، كفانا أنه نور من الله . وأفضل الصلاة والتسليم عليه وآله وصحبه صلاة ما زال يهب نسيم الصبا ، والحياة تدب على الأرض .

وبعد ،

ترجمنا هذا الكتاب قبل تسع سنوات أثناء دراستنا في بغدادنا الحبيبة التي لا زالت تدغدغ شعورنا في هذه الديار النائية (الهند) بالشوق والحنان ، أشتاق إليها كأنها هي موطني الأصلي وأنا ضيف هذه البلاد ، وأنى لنا إليها السبيل فقد خرّبَها الأشرار ، وسلبوا نضارتها ، وقطفوا ثمارها ، ثم دمروا قصور أمجادها ، ومحوا آثار حماتها ، نرجو من الله تعالى أن يجعل حظها من الأخيار .

ترجمنا هذه الرسالة لإمامنا الجليل شيخ الإسلام والمسلمين أحمد رضا خان الهندي ، نظرا إلى أهميتها وقدر قيمتها غضون الحملة التي رفعنا شعارها في العراق ، ونهضنا أعبائها بتعريف العلماء الهنود الأجلة الذين لم ينصفهم الزمان ، فتجاهل عنهم الإنسان ، وأعمته الضغائن ، فلم يات إلا بالشر ، كما ارتكب إحسان إلهي ظهير في أكذوبته (البريلوية) التي نسب فيها إلى من خالف هواه وهوى رؤوسائه من أعيان الوهابية ما شاء أن ينسب من خرافات وأباطيل لا تمت إلى الحقيقة بشيء، أو كما لفق ، وخلط الحق بالباطل أبو الحسن علي الندوي الذي قال في الإمام أحمد رضا ، مغاليا : إنه كان قليل البضاعة في الحديث والتفسير . ولا شك أن هذا القول مبني على التعصب ، وإلا كيف يقال في شخص له آثار عظيمة في الحديث والتفسير، كما أخرجها فضيلة الشيخ العلامة محمد حنيف الرضوي – أطال الله تعالى عمره – في 10 أجزاء تكشف لك القناع عن أن الإمام لم يكن قليل البضاعة في الحديث ولا في التفسير ، وإنما كان إماما فيهما نسبة إلى عصرنا الذي شح فيه رجال العلم والفن . ولكننا نعجب كل العجب حينما نرى مثل أبي الحسن علي الندوي يتجاهل عن شخص اعترف به العلامة إقبال قائلا : "لم يظهر فقيه طبّاع ذكيّ مثله (أي: الإمام أحمد رضا

البريلوي) في عهد "الهند" الأخير ". ومن المعروف أنه لا يمكن لأحد أن يكون فقيها طباعا بدون بضاعة الحديث والتفسير .

ولهذا وذاك كله كانت الحاجة ماسة إلى كشف الحقائق وتعريف العلماء الربانيين . فوفقنا الله تعالى لذلك بترجمة عدة كتب للإمام ، كما كتبنا مقالات وبحوث عن شخصياتهم ، لنقدّم أمام العالم العربي وجوها إسلامية مشرقة ، لم يكشف القناع عنها بعد .

في هذه الأجواء العلمية جاءت ترجمة هذه الرسالة البديعة التي طبعت لأول مرة من إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا ، كراتشي ، وقد نال الكتاب رواجا مقبولا في أوساط الخاصة والعامة ، كما يتجلى لك من التقريظ الذي سياتي في الصفحات التالية . فالحمد لله على كل حال .

علاوة على ذلك طلب منا بعض الأحبة إعادة طبع هذا الكتاب ، وألح على ضرورة نشره في العالم ، فعرضناه على ناشر المعارف الرضوية فضيلة الشيخ عبد الستار الهمداني ، فقبل ، وتولى الطباعة من مركز أهل السنة ، بركات رضا – فجزاه الله تعالى خير الجزاء في الدارين ، وبارك في مسعاه وخطاه تجاه الدين الحنيف الذي لا ياتيه الباطل .

عملنا في هذا الكتاب

1-حققنا نصوص الكتاب بالأردية وترجمناها إلى العربية .
2-خرّجنا أحاديثها النبوية الشريفة .
3-خرّجنا الآيات القرآنية المباركة .
4-ذكرنا مظان أقوال العلماء التي نقلها الإمام ، حسب المستطاع .
5-ترجمنا الأعلام الواردة في الكتاب .
6-وضعنا قائمة لمصادر البحث والتحقيق .

7-وقدمنا له بمقدمة تعين القاريء على فهم فحوى الكتاب وأغراضه .
8-قمنا بتصحيح الأخطاء المطبعية التي أدركناها في الطبعة الأولى .

وأخيرا لم نرم بهذا العمل إلا رضا الله ورضا حبيبه الأعلى - عليه التحية والثناء - والله هو العليم الخبير . وأسأل الله - عز وجل - أن يهدينا والناس سواء السبيل ، ويجعل هذا العمل مقبولا يثقل به ميزان حسناتنا يوم القيامة ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار . اللهم آمين آمين آمين يا رب العالمين بجاه سيد المرسلين - عليه الصلاة والتسليم .

أنوار أحمد خان البغدادي

13 / صفر المظفر 1430هـ / 9 / شباط 2009م

مقدمة
الطبعة الأولى للمترجم

φ

الحمد لله القادر المطلق ، ولا قدرة لغيره ، والخالق الأعظم ، ولا عظمة إلا لوجه جلاله ، والنور الأبهى ، ولا نور في الكون إلا به ، والصلاة والسلام على النور المحمدي الذي جعله الله تعالى منورا لخلقه ، وميَّزه به عن غيره ، وعلى آله وأصحابه – رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

وبعد ،

فهذه رسالة في إثبات النور المحمدي ، من مؤلفات العالم

العبقري من كبار علماء الهند في القرن الرابع عشر الهجري الإمام أحمد رضا خان البريلوي (ت 1340هـ) ، ألّفها باللغة الأردية سنة (1329هـ) وسمّاها بـ" صلات الصفا في نور المصطفى " (صلى الله تعالى عليه وسلم) ويأتى هذا التأليف استجوابا لأسئلة وجهت إلى فضيلة الشيخ في ظروف تضاربت فيها الأفكار واحتدمت فيها المواقف من شخصية النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - حيث هناك تيارات فكرية مقصودة تحاول النيل من شرف النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - تحت غطاء نبذ التطرف والغلو والتعصب والخضوع للموافقة العقلية في كل الأمور ، وفي خضم هذه المعارك الطاحنة وقف المؤلف – رحمه الله تعالى – موقف حب ، واعتزاز ، ومدافع عن كرامة النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - ورفعة شأنه ، وعلو قدره ، وشرف منزلته عند الله عز وجل ، كما يقتضيه الاصطفاء والانتقاء ، فإنه نبي مصطفى من بين الأنبياء والخلائق ، وليس بهذا التأليف فقط ، بل له رسائل كثيرة في هذا الصدد، من أهمها :

1- قمر التمام في نفي الظل عن سيد الأنام - صلى الله تعالى عليه وسلم .
2- نفي الفئ عمن استنار بنوره كل شيئ .
3- هدى الحيران في نفي الفيء عن سيد الأكوان - صلى الله تعالى عليه وسلم.
4- مبين الهدى في نفي إمكان مثل المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم .
5- سلطنة المصطفى في ملكوت كل الورى .
6- تجلى اليقين بأن نبينا سيد المرسلين .
7- شمول الإسلام لأصول الرسول الكرام .
8- شفاء الواله في صور الحبيب ومزاره ونعاله .

وغيرها من الرسائل والمؤلفات والقصائد التي وقف فيها موقفا إيجابيا حاسما من شخصية النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - مبينا فضائله ، وما يستحقه - صلى الله تعالى عليه وسلم - من تعظيم ، وتفضيل ، وتبجيل غير أن يُطريه قيد شعرة ، كما أطرت النصارى ابن مريم واضعا نصب عينيه في قول البوصيري :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ماشئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفم
فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم [1]

وفي هذا الإطار نجد المؤلف يقرُّ بنورانية النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- وأصلها ، وشرف تقدمها ، وفضل أوليتها إقرارا تاما ، ويستعرض المسألة اعتمادا على الحديث الذي ذكره القسطلاني في المواهب من رواية سيدنا عبد الرزاق بإسناده إلى سيدنا جابر بن عبد الله – رضي الله تعالى عنهم – بأن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال : (يا جابر ! إن الله قد خلق نور نبيك من نوره ...) وعلى أقوال الأئمة الأسلاف من الفقهاء والمحدثين والنقاد .

وبهذا لايظنن ظان أن المؤلف مع أصحابه العلماء الأجلة قديما وحديثا ، يحدث في الدين أمرا ، ويغلو في النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - غلوا لا عهد له ، ويُثبت له القدم ، ويصل به الحال إلى القول بالحلول والاتحاد – نعوذ بالله تعالى من ذلك – كما اعتاد بمثل هذا الظن مقاولو التكفير وحمال لوائه من الغلاة المسلمين الذين يدعون إلى التوحيد ، وهم إلى التفريق ساعون ، فيرمونه بحجارة التكفير والزندقة ، كما رموا بها الصوفية الكرام من قبل ، فكأن قلوبهم مصانع الشرك ، ومصادر التضليل ، منها تهب أعصار التكفير ، فلا يسلم من سهامهم مسلم على وجه الأرض إلا عدد الأصابع ، ولو تفكر هولاء قليلا ، وتأنوا في التكفير برهة ، واستعظموه ، لمَا أسرعوا في التحكيم على المسلمين ، وبالأخص على علمائهم بالشرك والزندقة ، لأنني لم أجد عالما صوفيا ولامسلما عاديا أن يغلو في مدح النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - ويصفه بصفات تُخرجه من الملة ، ولا يمكن ذلك لأن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أعظم

---

(1) ينظر : المختصر في شرح البردة ، نظَّمها : الإمام أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري (ت : 696 هـ) . الطبعة الأولى : 1422 هـ / 2001 م ، من مطبوعات مركز أهل السنة ، بركات رضا ، فوربندر ، غوجرات (الهند) ص : 23 - 24 .

وأرفع من أن يصيب أحد بمدح كما حقه ، وأما الإطراء الذي منع عنه النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - بقوله : (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم) [1] فالمراد منه أن لا تصفوه - صلى الله تعالى عليه وسلم - بصفات الربوبية أو خصائص الألوهية ، كما وصل الحال بالنصارى في عيسى - عليه الصلاة والسلام - حينما قالوا : إنه ابن الله أو ثالث ثلاثة . ومن المعلوم أن هذا لا يقوله أجهل جاهل في المسلمين [2] فضلا عن العلماء الذين هم مصداق قوله تعالى : (☽♋☼❄☺◻︎♐︎ ⑥•③♒︎◆◻︎♑︎
♑︎■♌︎⑩♐︎♦⌛♌︎⬉ ⇧♊︎♌︎☝ ⍋✍♐︎✂
⍋✍♐︎✂ ·♍︎♋☽ ▤ ☎✂➔•❄①◻︎☺■🖫⬉➔♒︎♓︎◉♐︎✂
⬉♦⑩♑︎③❽➘ ➘☒⊞➔□❻➘) [فاطر : 28] .

وعلاوة على ذلك نجد عند هؤلاء العلماء المتهمين بالشطحات تصريحات تبطل كل الاتهامات الملصقة بهم ، فهذا ابن عربي المعروف بالشيخ الأكبر – رحمه الله تعالى – الذي كثيرا ما تنزل البلية على رأسه ، فتأتيه الاتهامات دالة على قصر نظر أصحابها ، وهو منها بريئ ، فيذهب ظان سقيم الفهم أنه القائل بالحلول والإتحاد ، مع أنه يصرح ببطلان الحلول والإتحاد قائلا : (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها) [3] ويقول أيضا : (اعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ، ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيئ ، أو يحل هو في شيئ ، أو يتحد في شيئ) [4] ويقول العلامة الزرقاني (ت 1122هـ) شارحا قول العلامة القسطلاني : " شمس أنوار معارف النبوية المحمدية " : (ولكونها قبل العالم عبر بـ " طلع " المشعر بأنها لم تكن

---

(1) رواه الإمام البخاري عن سيدنا عمر الفاروق – رضي الله تعالى عنه – في صحيحه ، ينظر : مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي ، القاهرة ، 1421هـ / 200م ، كتاب " أحاديث الأنبياء "، باب 51 ، رقم الحديث : 3484 ، 2 / 681 .

(2) ينظر : المدح النبوي بين الغلو والإنصاف للسيد محمد بن علوي المالكي ، الطبعة الأولى : 1422 هـ / 2001 م ، من مطبوعات مركز أهل السنة ، بركات رضا ، فوربندر ، غجرات (الهند) ، ص : 6 – 12 .

(3) اليواقيت والجواهر للشعراني ، 82/1 .

(4) ينظر : المصدر نفسه ، 80/1 .

موجودة ، ثم كانت لانتفاء القدم لغير الباري) [1] وكذلك نجد مؤلف هذا الكتاب الذي يؤكد نورانية النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - مخلوقة من نور الله ، يقول: (... – معاذ الله – لا يعني خلقه من نور الله الذاتي أن الذات الإلهي مادة لذات الرسالة كالطين للإنسان أو – عياذا بالله – أن جزءا من الذات الإلهي أو كله أصبح ذات النبي ، لأن الله - عز وجل - منزه من التجزؤ والتفكك والاتحاد بأحد ما ، والحلول في شيئ ما ، والاعتقاد بأن حضرة سيد العالم - صلى الله تعالى عليه وسلم - أو شيئا مًّا جزء من الذات الإلهي أو الاعتقاد أن فردا من المخلوقات عين الذات الإلهي كفر) .

فما الذي يبقى بعد هذه التصريحات ؟ وكيف يتجرأ مسلم أن يكفر أخاه المسلم ، إذا خالف وجهات نظره ؟ أفليس هذا ظلما وتعسفا وتعليا على وحدة الدين الإسلامي الحنيف ؟ ! فلنحذر التكفير ونستعظمه ، وينبغي لنا التأني والتدقيق قبل التحكيم بالكفر والشرك .

وأما تحقيق مسألة النور المحمدي بأن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – هل كان نورا أم لا ؟ وإذا كان نورا فما هي حقيقة هذا النور ؟ هل هو نور مخلوق من نور الله ؟ كل هذه الأسئلة نقف عندها لحظات سريعة لنعرض اختلاف العلماء فيها وأدلتهم بشكل موجز ، ونبيّن موقفنا من المسألة – إن شاء الله العظيم.

وقفات سريعة
في مسألة النور المحمدي

لقد اختلف العلماء في النور المحمدي بين فريقين : فريق يذهب إلى أن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - كان نورا مخلوقا من نور الله الذاتي بدون أن يحدث التفكك أو التقسيم في ذات الله تعالى مستدلا بحديث سيدنا جابر - رضي الله تعالى عنه - : (إن الله قد خلق نور نبيك من نوره) ثم اختلف أصحاب هذا الفريق فيما بينهم ، فذهب بعضهم إلى أنه - صلى الله

---

(1) شرح العلامة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت : 1122هـ) على المواهب اللدنية للقسطلاني ، الطبعة الأولى (1325هـ) المطبعة الأزهرية بمصر ، 46/1 .

تعالى عليه وسلم - خلق من نور الله تعالى الصفاتي ، في حين يذهب آخرون إلى أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - قد خلق من نور الله الذاتي .

أما الفريق الثاني فيرفض نورانية النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - ويذهب إلى أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - لم يكن نورا مخلوقا من نور الله تعالى، وما ذهب إليه المفسرون بأن المراد من النور في قوله تعالى : ([illegible] [illegible]) [المائدة : 15] هو محمد - صلى الله تعالى عليه وسلم - فيفسره هذا الفريق بأنه نور مجازي ، بمعنى أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - هاد إلى سواء الطريق ، فكأنه نور به يستهدى ، وبه يستنار الطريق ، وأما الحديث الذي اعتمد عليه الفريق الأول فهو ضعيف عند بعض أصحاب هذا الرأي وموضوع عند البعض الآخر [1] .

والذي يترجح عندي هو أن الرسول المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم - كان نورا ، ولا يعني هذا النور أنه كان جسما مشعا ، كما يفهمه بعض الجهلة ، وكذلك ليس من الإنصاف أن يحمل هذا النور على المجاز بمعنى : هو النور المبين والهادي إلى الصراط المستقيم ، وذلك لأننا إذا قلنا بالنور المجازي فلا يبق فيه اختصاص للنبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – ولا تميز له به عن غيره ، بل يشترك فيه كل هاد إلى الصراط المستقيم إلى يوم القيامة ، ويتساوى فيه كل أسود وأبيض وكل جميل وقبيح الصورة بشرط الإيمان ، وهذا الذي يرفضه العقل السليم وتخالفه الأحاديث الصحيحة المروية في كمال خلقته - صلى الله تعالى عليه وسلم - خلقا وجمالا ، وهي التي وردت فيها تشبيهات كثيرة بالشمس والقمر في النور والضياء ، وهذه الأحاديث كثيرة [2] ، وبطرق عديدة مروية ، حيث لا تسويغ لساع أن يتقول بموضوعها أو بضعفها ، ومنها :

---

(1) ينظر : النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين ، تأليف : د. عداب محمود الحمش، الطبعة الأولى : (1407هـ) دار حسان للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص :13 و 50.

(2) تنظر : هذه الأحاديث في كتب الشمائل وأبواب الفضائل للصحاح وغيرها .

عن سيدنا البراء بن العازب – رضي الله تعالى عنه - أنه قال : كان رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - أحسن الناس وجها ، وأحسنهم خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير [(1)] وعن أبي إسحاق السبيعي أنه قال : سئل البراء : أكان وجه النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم – مثل السيف ؟ قال لا ، بل مثل القمر[(2)] وعن سيدنا أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنه قال : (ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم – كأن الشمس تجري في وجهه) [(3)] .

حيث هذه وغيرها من الأحاديث الكثيرة تنبئنا عن اختصاصه - صلى الله تعالى عليه وسلم - بجمال خارق ، لا مثال له ، لا من قبل ولا من بعد ، ومن خصوصية هذا الجمال أنه يتمتع بنورانية كاملة منفردة ، لم يضاهيه فيها أحد غيره من البشر ، كما يتضح ذلك من التشبيهات الواردة في الأحاديث المذكورة بالشمس والقمر ، بل لهو أكثر منهما نورا وضياء ، وهذه الأحاديث هي التي تكمل تفسير النور بذات النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - في قوله تعالى : (🕭•⑨⇳ ♊︎ ⊡🕭✏↗◆🗎→☠ ✋♓︎♑︎🕈♏︎♏︎ ✂♐︎✏★ ☼←❑❻⌧ ❒◆🗎🖏✌◆🕓🖫♑︎ ✋❿🖮♎︎✓▫♑︎) [المائدة : 15] كأنه قيل : أيها الناس ! قد جاءكم النبي نورا في ذاته وجماله ، كما تخبرنا عنه هذه الأحاديث ، و نورا في دعوته إلى الله فتستهدون بها إلى الصراط المستقيم ، ونورا في أسوته الحسنة فتستنيرون بها الطريق ، كما يقتضي ذلك العطف بالكتاب المبين في الآية ، وهذا التفسير هو الذي يناسب بلاغة الآية الكريمة حيث عُبّر النبي الكريم – صلى الله تعالى عليه وسلم -

(1) ينظر : صحيح البخاري ، مطبوعة جمعية المكْنَز الإسلامي ، كتاب المناقب ، باب 24 ، رقم الحديث : 3589 ، 2 / 699 ، وصحيح مسلم ، مطبوعة المكْنَز ، كتاب الفضائل ، باب 25 ، رقم الحديث : 6212 ، 2 / 1002) .

(2) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب 24، 2 / 699 .

(3) رواه الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة ، مطبوعة جمعية المكْنَز الإسلامي ،كتاب المناقب ، باب 12 ، رقم الحديث : 4009 ، 2 / 934 .

بالنور بدون استخدام أداة التشبيه والمشبه لتوحي الآية أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - نور ذاتا ، وجمالا ، وخلقا ، وسيرة وهداية ، وكذلك يكشف هذا التفسير عن واقع الحال لجماله النوراني - صلى الله تعالى عليه وسلم ، كما دلت عليه الأحاديث ، هكذا يصبح لهذا النور الوارد في الآية خصوصية مزدوجة للنبي - صلى الله اعالى عليه وسلم - في الذات والسبب ، لا يحملها غيره ممن يهد الله به عباده إلى الصراط المستقيم ، والله تعالى أعلم .

إذن ليس النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - نورا مجازيا ، بل النورانية فيه أصلية ، ولكن لا يعني ذلك أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - جسم مشع ، يقول السيد علوي المالكي : (وهذه النورانية أصلية فيه - صلى الله تعالى عليه وسلم - وهي أول ما خلق من الأنوار في الأكوان) [1] ويقول أيضا : (ويظن بعض الجهلة أن معنى كونه - صلى الله تعالى عليه وسلم - نورا ، أي : أنه جسم مشع ، وهذا وهم أو سوء فهم ، كأنه بهذا قد جعله - صلى الله تعالى عليه وسلم - مصباحا أو سراجا " لمبة كهربائية " وهو - صلى الله تعالى عليه وسلم - أجل ، وأكرم ، وأرفع ، وأعظم من أن يكون كذلك . نعم لا مانع عندنا من أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - قد يظهر منه ضوء محسوس ، كما يسطع من الأجسام المضيئة المشعة ، ولكن هذا لا يكون دائما ، وإنما يكون عند الحاجة كمعجزة من معجزاته الخارقة للعادة وقد ثبت هذا لمن هو أقل منه - صلى الله عليه وسلم - كما حصل للصحابي الجليل أسيد بن حضير .) [2]

وهذا هو المعنى القويم والتفسير المعقول لنورانية النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - بهذا تدفع كثير من الاعتراضات ، ومما يثبت هذه النورانية المحمدية ، ما رواه علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال: (كنت نورا بين يدي ربي) وهذا الحديث

---

(1) محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) الإنسان الكامل ، تأليف : السيد محمد بن السيد علوي المالكي الحسني ، الطبعة الأولى (2001م) مركز أهل السنة بركات رضا ، فوربندر ، غوجرات ، الهند ، ص : 29 .

(2) المصدر نفسه ، ص :20 .

ذكره الحافظ أبو الحسن علي بن محمد بن القطان في أحكامه وابن القطان من نقاد الحديث المعروفين بصناعته ومن أشد العلماء بالرواية والحفظ والإتقان .[1]

هذا ، وهناك أحاديث أخرى تثبت نورانية النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - نورا مخلوقا من نور الله فلا ضير في تسليمه لأن حديث جابر - رضي الله تعالى عنه - الذي اعتمد عليه القائلون بالنورانية لا يمكن أن يعد من الموضوعات لعدم وجوده في مصنف عبد الرزاق المحقق المطبوع ، وذلك لأنه اعتمد عليه العلماء الأجلة من نقاد الحديث من أمثال القسطلاني ، وابن حجر الهيثمي ، والعجلوني ، وغيرهم ، فهل يجوز لنا أن نحكم قطعا بوضع هذا الحديث ، فنرمي هؤلاء العلماء بالكذب ؟ أو كان هؤلاء العلماء أقل دراية ، وفهما ، ونقدا في الحديث من بعض متأخري اليوم؟!

كل ذلك لا أعتقده ، بل الذي أظنه أنه قد يمكن أن الحديث قد سقط من النسخ التي وصلت إليها يد المحقق أو راح ضحية لتلاعب النساخ ، كما حصل ذلك لكثير من الكتب التراثية ، لا يخفى على من له إلمام بالتحقيق .

وأما من ناحية المتن فلا أجد فيه شيئا ، لأن هذه النورانية خاصة بالنبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - ومعجزة له ، والمعجزة هي التي تكون خارقة للعادة ومخالفة للعقل ، وهي كثيرة للنبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - كما دلت عليه الأخبار الصحيحة من أمثال قصة المعراج وغيرها من الحوادث والمواقف التي صدرت في وقت لآخر حسب الضرورة ، ولا ينبغي لنا أن نصفها بالمبالغة والخيال في ديننا [2] لأنها أيضا من مقتضيات الدين ، فلو لم تكن منها لما أودعها الله تعالى في الأنبياء والمرسلين ، وعلاوة على ذلك ليس من الضرورة أن يدخل العقل في جميع المرويات والمنقولات من أمور الدين ، بل نؤمن بما أنزل الله تعالى وبما قاله النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - إيمانا مطلقا .

---

(1) ينظر : محمد (صلى الله تعالى عليه وسلم) الإنسان الكامل ، ص : 21 .

(2) كما وصف به الدكتور عداب الحمش قائلا : (إن نسبة مثل العقائد (كونه – صلى الله عليه وسلم – نورا) إلى الإسلام تجعله في نظر خصومه دين الخيالات والمبالغات) ينظر : النور المحمدي ، ص : 55 .

وأما عن سبب كونه - صلى الله تعالى عليه وسلم - مخلوقا من نور الله تعالى وعن كيفية هذه الخلقة فالبحث فيه مما لا جدوى فيه ، وهو من المتشابهات ، وذلك لا يخص بهذا الحديث فقط ، وإنما ورد مثل ذلك في تعبير القرآن الكريم أيضا ، إذ قال تعالى عن مريم ابنة عمران : ([illegible]) [الأنبياء : 91] فهل يجوز لنا أن نقول متحكمين عقولنا في ظاهر الآية إن لله تعالى روحا ؟ وإن عيسى - عليه الصلاة والسلام - خلق من روح الله ؟ وهكذا حدث الحلول ، كلا ! نعوذ بالله من ذلك ، بل الأسلم والأصح هو ما قال فيه العلماء بأن الإضافة في (روحنا) إضافة تشريف – والله تعالى أعلم بالصواب .

وأما ما يتهم بأن كونه - صلى الله تعالى عليه وسلم - أول الأنوار ومصدر الأكوان يستلزم القدم وينافي الحدوث (1) فهو قول باطل وتهمة فظيعة لا تمت بصلة إلى الحقيقة العلمية الثابتة ، لأننا في أول الأمر نرى القائلين بأولية نورانية النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - يصرحون خلاف ذلك ، كما مرَّ بنا قبل قليل تصريح الزرقاني على قول القسطلاني ، وعلاوة على ذلك أعجب لأمر المتهمين كيف سوغت نفوسهم لهذا القول العظيم ؟ ! مع أن حديث النور ينص على أن الله تعالى خلق نور نبيه من نوره ، فماذا يعني الخلق ؟ أ ليس هو مرادفا للحديث وضدا للقدم ؟ أم الخلق هو القدم ؟ هذا لا يظنه جاهل فضلا عن العالم ، ولا يعتقد بمثل هذا الإعتقاد أحد من المسلمين ، فمن أين جاءت هذه الأباطيل ولصقت بهؤلاء الأصفياء والأتقياء ، والحقيقة أنها ليست إلا نظرية متعصبة ، نعوذ بالله تعالى من ذلك .

وخلاصة القول أن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - نور ومنور ، وهذه النورانية فيه من معجزاته - صلى الله تعالى عليه وسلم - ومن خصائصه شرّفه الله تعالى بها وبغيرها من الصفات البديعة الخارقة للعادة ، كما اقتضت النبوة ذلك ، ولا عجب فيه ولا مجال للجدال لأن الله تعالى قادر

---

(1) ينظر : النور المحمدي للدكتور عداب الحمش ، ص : 17 _ 23 .

على كل شيئ ، وهو العالم أسرار الأكوان والطبيعة ، سبحانه تعالى يفعل ما يشاء ، وهو العليم الخبير .

وبعد هذا السرد الموجز عن النور المحمدي يحسن بنا أن نقف لحظات سريعة للاطلاع على هوية مؤلف هذا الكتاب وشخصيته العلمية الفذة .

نبذة عن حياة المؤلف وخدماته (1)

نسبه :

هو أحمد رضا خان بن محمد نقي علي خان بن محمد رضا علي خان بن محمد كاظم علي خان بن شاه محمد أعظم علي خان بن محمد سعادت يار خان بن محمد سعيد الله خان ... رحمهم الله (2) .

(1) تنظر ترجمته في : " حياة أعلى حضرة " (الإمام أحمد رضا) لملك العلماء محمد ظفر الدين البهاري ، اهتم بنشره : رضا أكاديمي ، ممبئي ، 1424 هـ / 2002 م " وسوانح أعلى حضرة " باللغة الأردية للشيخ العلامة بدر الدين أحمد القادري (رحمه الله) المكتبة النورية الرضوية ، سكهر ، الباكستان ، الطبعة السابعة : 1987 م ، وكتاب " الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي " للأستاذ مشتاق أحمد شاه بن نادر شاه ، نشره : إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا ، كراتشي ، 1418 هـ 1997 م ، وكتاب " النثر الفني عند الشيخ الإمام أحمد رضا خان ، دراسة فنية وأسلوبية " للأستاذ قاضي السيد عتيق الرحمن شاه البخاري ، نشره : إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا ، كراتشي ، 1424 هـ / 2003 م . إضافة إلى مقدمات كتبه – رحمه الله تعالى .

(2) ينظر : حياة أعلى حضرة ، 1 / 82 – 101 ، وسوانح أعلى حضرة ، ص : 93.

اسمه ولقبه :

سمي وقت ولادته بـ " محمد " ، وسماه جده بـ " أحمد رضا " وهو الاسم الذي اشتهر به ، وأختير له اسم يوافق سنة ولادته بحسب الجمل ، هو (المختار) الذي يوافق السنة الهجرية التي ولد فيها ، وهي : (1272هـ) وقد أخرج الإمام البريلوي سنة ولادته من هذه الآية المباركة : (❼♐× ❁🖬♦☞•🖹 🖾🖮✍◇❄🕐•♌🕯❒🡅🕮 ⌘♊🕓🖾☺③💣✎✁ 🡔☠✍✍✍🖫❒➔🖬➔🕭 ☎ 🡐❍✎✡✍♓✌ 🖰🖾❒🡔❷♐✉ ☠➔♎🖾⑨✸③❒🕮♦❒) [سورة المجادلة : 22] [1] . وقد لقب بألقاب عدة لما تميزت به شخصيته القوية الفذة من أوصاف نادرة ، منها : " أعلى حضرت " وهذا هو اللقب الذي اشتهر به في شبه القارة الهندية من الهند ، والباكستان ، والبنغلاديش، وغيرها من البلاد .

أسرته وولادته :

ولد في مدينة " بريلي " إحدى مدن الولاية الشمالية الهندية في 10 من شوال المكرم سنة (1272هـ /14 حزيران 1856م) في سلالة معروفة بالفضل والشرف والعلم والتقوى ، تعود في أصولها إلى قبيلة (برهيج) الأفغانية التي كانت تقطن في مدينة (قندهار) ، وقد رحل أحد من أجداده محمد سعيد الله خان إلى (لاهور) في عهد الدولة المغولية الإسلامية ، وتولى مناصب مهمة في الدولة ، و أما حفيده مولانا محمد أعظم علي خان فقد اختار مدينة " بريلي " موطنا له ، حيث مولد الإمام ومدفنه ، وهكذا كان قد تولى بعض أصحاب هذه الأسرة مناصب مهمة في الدولة ، ولبعضهم سمعة طيبة في أوساط العلم والعلماء ، فقد كان أبوه مولانا نقي علي خان (ت 1297هـ) - رحمه الله تعالى - عالما فاضلا ، كما كان جده مولانا رضا علي خان (ت 1282هـ) - رحمه الله تعالى - عالما متقيا ورعا [2] .

نشأته وتعلمه :

---

(1) ينظر : سوانح أعلى حضرة ، ص : 95 .

(2) ينظر : سوانح أعلى حضرة ، ص : 93 - 95 .

وقد أدت هذه الخلفية المتميزة الواعية لأسرته الراشدة ، وذكاؤه الخارق ، وظيفة مهمة في تكوين شخصيته النابغة وعبقريته الفذة ، فقد حير عقول الرجال من حوله بمنجزاته العلمية منذ نعومة أظفاره ، حيث أنهى القرآن الكريم بالقراءة وعمره أربع سنوات ، ووقف على المنبر خطيبا وعمره ست سنوات ، وتخرّجَ في العلوم الإسلامية في 14 شعبان سنة (1286هـ) وهو لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره [1] ، وبعد تخرجه في الدرس النظامي تصدر للإفتاء ، وبدأ بالتأليف والكتابة إضافة إلى التدريس ، وهكذا استمرت حياته إلى أن توفي تاركا لنا مآثر علمية ضخمة تنجزها المجامع العلمية ، ليس الشخص الواحد ، إلا الذي تغمده الله بفضله وكرمه .

زيارته للحرمين الطيبين :

في سنة 1294 هـ سافر الإمام مع والده المكرم إلى الزاوية القادرية "المارهرة المطهرة" من زوايا الهند المشهورة ليبايع الإمام سيدي الشيخ الشاه آل رسول الأحمدي المارهروي (نوَّرَ الله مرقده) ويأخذ منه الطريقة ، فما أن وقع نظر الشيخ على الإمام وافق على إعطائه الطريقة بدون التحري والامتحان خلافا لما كان المعتاد في حضرته ، وذلك لما لاحظه من تباشير الفضل والصلاح في جبين إمامنا الأغر الأسعد [2] .

وبعد تشرفه بهذا الشرف العظيم اتجه الإمام مع أبيه إلى زيارة الحرمين الشريفين في عام 1295 هـ . والتقى الإمام أثناء هذه الزيارة أكابر علمائها من أمثال الشيخ السيد أحمد دحلان وغيره ، واستفاد بهم[3] .

هذه هي المرة الأولى من زيارته ، وأما زيارته للمرة الثانية فقد كانت في عام 1323 هـ . وفي هذه الرحلة الطيبة ألف الإمام " الدولة المكية بالمادة الغيبية " ، و"كفل الفقيه الفاهم في أحكام قرطاس الدراهم" . وقد نال

---

(1) ينظر : المصدر نفسه ، ص : 93 – 95 .

(2) حياة أعلى حضرة ، 1/ 121 - 123 .

(3) المصدر نفسه ، 1/ 133 .

هذان الكتابان رواجا مقبولا في الأوساط العلمية ، وأثنى عليه علماء الحرمين وغيرهم ثناء عطرا[1] .

شيوخه وأساتذته :

المدرسة الأولى لتربيته وتعلمه تتشكل من أبيه وجده اللذين كانا عالمين كبيرين وفاضلين جليلين ، فقد بذلا قصارى جهودهما في تثقيفه وإبراز محاسنه الأخلاقية وقدراته الإبداعية ، حيث تفتقت قريحته ، واستثمرت جهودهما ، فلم يترك أفقا من الآفاق ، بل تطلع إلى كل أفق جديد ، إضافة إلى هؤلاء ، يذكر أنه استفاد من مرشده وشيخه في الطريقة سيدي الشاه آل رسول الأحمدي المارهروي، وسيدي الشيخ مولانا أبي الحسن النوري المارهروي ، ومرزا غلام عبد القادر بيك [2] ، والعلامة عبد العليم الرامفوري ، فحسب من علماء الهند ، وأما من علماء العرب فقد تلقى بعض العلوم الإسلامية ، وأخذ الإجازة ، من أمثال الإمام الجليل الفقيه المحدث السيد أحمد بن زيني دحلان الشافعي المكي ، والإمام الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله السراج المكي مفتي الحنفية ورئيس العلماء بمكة المكرمة ، والشيخ حسين بن صالح المكي وغيرهم - رحمهم الله جميعا [3] .

تلامذته :

(1) ينظر : حياة أعلى حضرة ، 1 / 133 ، ومقدمة الدكتور حازم محفوظ على " الدولة المكية بالمادة الغيبية " ، مؤسسة رضا ، الجامعة الرضوية النظامية ، لاهور ، الباكستان ، الطبعة الأولى : 1422 هـ / 2001 م . ص : 20 – 22 .

(2) ليس هذا الميرزا مؤسس القاديانية ، وإنما هو الشيخ الحكيم مرزا غلام قادر بيك ، من أبناء أهل السنة ، ولد في لكناؤ سنة 1243 هـ / 1827 م ، وانتقل به أبوه إلى مدينة " بريلي " حيث موطن إمامنا البريلوي ، وهنالك قرأ عليه الإمام الكتب العربية الابتدائية ، توفي الشيخ المرزا هذا في مدينة " بريلي " في 1 محرم الحرام 1336 هـ / 18 من أكتوبر 1917 م . (المجلة الشهرية " سني دنيا " بريلي شريف ، عدد حزيران 1988 م / 1408 هـ) .

(3) ينظر : حياة أعلى حضرة ، 1 / 115 ، وسوانح أعلى حضرة ، ص : 91 ، ومقدمة الأستاذ الدكتور حازم المحفوظ على كتاب "الدولة المكية بالمادة الغيبية" للعلامة البريلوي ، ص : 18 .

وكما كان إمامنا مجمعا فعالا في الكتابة والتأليف ، فألف ما يقارب ألف مؤلف ، كذلك كان مدرسة قائمة بذاتها ، تخرج فيها الفقهاء ، والمحدثون ، والدعاة، والمفكرون ، من أمثال الشيخ حامد رضا خان الملقب بـ " حجة الإسلام"، والعلامة مصطفى رضا خان الملقب بـ " مفتي الهند الأعظم " ، والمفتي أمجد علي الملقب بـ " صدر الشريعة " ، والشيخ محمد الكشوشوي الملقب بـ " محدث الهند الأعظم " والداعية الكبير الشيخ عبد العليم الصديقي الملقب بـ " مبلغ الإسلام " وغيرهم كثيرون ، وكل منهم يشكل مدرسة مستقلة . هذا ويذكر في تلامذته بعض الأعلام العرب الذين تلمذوا على يده ، وأخذوا منه الإجازة من أمثال الشيخ عبد الحي بن عبد الله الكتاني ، والشيخ أحمد الخضراوي المكي ، والشيخ السيد محمد سعيد المدني ، والشيخ عبد القادر الكردي ، وغيرهم – رحمهم الله تعالى[1] .

مؤلفاته :

كان رحمه الله كثير الإنتاج ، غزير التأليف ، فقد يقال إنه ألف أكثر من ألف كتاب[2] ما بين مؤلفات ضخمة ورسائل صغيرة ، وقد يكون في هذا القول نوع من المبالغة إلا أن الذي لا بأس في جزمه هو أنه معروف بكثرة التأليف وأكثر من ثلاث مائة كتاب من مؤلفاته متداول في الهند والباكستان والبنغلاديش ، ولهذا صح أن يلقب بـ " السيوطي الثاني " في شبه القارة الهندية ، ومن أشهر مؤلفاته " العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية " في إثني عشر مجلدا ، و" الدولة المكية بالمادة الغيبية " ، و"حسام الحرمين على منحر الكفر والمين " وغيرها .

---

(1) ينظر : سوانح أعلى حضرة ، ص : 333 – 337 .

(2) ينظر : فقيه الإسلام (العطايا الرضوية في المسائل الشرعية) للدكتور حسن رضا ، مطبعة تاج ، إله آباد (الهند) ص : 177 .

إلمامه بالعلوم والفنون :

وكما كثرت مؤلفاته كذلك تنوعت ، فقد قيل إنه كتب في أكثر من خمسين علما وفنا [1] ، وفي أكثر من ثلاث لغات : العربية ، والفارسية ، والأردية . وقد تميزت مؤلفاته بالدقة ، والموضوعية ، وقوة الاستدلال ، وتلك واضحة لمن يطالع كتبه مدققا بإنعام النظر فيها ، ولا تأخذه أهواء التعصب والإنحياز .

براعته في الفقه الإسلامي :

وبجانب إلمامه بالفنون المختلفة وتضلعه من العلوم الإسلامية ، قد تميز بنبوغه في الفقه الإسلامي ، وبالأخص الفقه الحنفي تميزا واضحا ، فقد ألف في الفقه الإسلامي ما يربو على مئتي مؤلف ما بين مؤلفات ضخمة وكراسات صغيرة [2] وتحمل كتبه هذه في ثناياها ميزات مهمة ، تميزه من غيره من الفقهاء ، منها : ندرة الاستنباط ، وقوة الاستدلال ، والإكثار من صور الجزئيات ، وإحاطتها بضوابط ، وغيرها من خصائص ، لا تخفى على من يطالعها .

موقفه من التيارات الفكرية الهدامة :

كان - رحمه الله تعالى - قوي المعارضة وشديد النكير على أصحاب البدع والمنكرات فقد قضى كل حياته منافحا عن بياض الإسلام ، ومدافعا عن حياضه ، ومتصديا لجميع التيارات الفكرية الهدامة ، سواء هبت ريحها من الغرب أو من الشرق ، حيث نراه يؤلف أكثر من ست رسائل في رد " القاديانية " ، ورسائل أخرى في رد الطبيعيين ، وأخرى في غيرهم من أصحاب الملل والهوى .

---

(1) ينظر : سوانح أعلى حضرة ، ص : 100 – 101 .

(2) ينظر : فقيه الإسلام ، ص : 453 – 467 .

دوره في رد البدع والمنكرات :

كما كان مرهف الإحساس ، شديد الوعي للتيارات الفكرية الضالة ، كذلك لم يغفل عما كان يجري في شبه القارة الهندية من أمور البدعة والخرافات والمنكرات، فقد كتب رسائل كثيرة في هذه المجالات ، منها رسالته البديعة " جمل النور في نهي النساء عن زيارة القبور " التي كتبها غيرة على الأمة الإسلامية ، ليحافظ العتبات المقدسة من شر الفساد الذي بدأ يغزوها ، ولكي يضع حدا فاصلا بين مهرجانات الهندوس والمناسبات الإسلامية النقية الصافية ، وكذلك عنده رسالة في تحريم سجود التحية ، ورسالة أخرى في المنع عن أخذ "التعزية" [1] ذكرى للإمام سيدنا الحسين - رضي الله تعالى عنه - وغيرها من الرسائل في رد البدع والمنكرات .

الخصائص الأسلوبية العامة في مؤلفاته :

لكل كاتب أسلوب ، ولكل أسلوب خصائص وميزات تميزه عن غيره ، وخصائص أسلوب الإمام مما يمتاز عن غيره هي :

أولا : قوة الاستدلال ، وندرة الاستنباط ، وحسن المحاضرة ، وغزارة الشواهد والأمثلة ، كأنه له نظرة عقاب يلتقط نصيبه من صعاب البحار .

ثانيا : غاية الأدب والاحترام عند ذكر كلمة الجلالة حيث لم يذكر كلمة الجلالة " الله " إلا وأضاف إليه صفاته الأخرى مثلا " تعالى " أو " عز وجل " أو " الله رب العزة والجلالة " ...إلخ .

ثالثا : كذلك كلما جاء ذكر الرسول - عليه الصلاة والسلام - لا يقتصر على "ص" أو "صلعم" أو على أي نوع من المختصرات ، بل يصلي على جنابه الكريم بأكمل صورة ، وبكل أدب واحترام محبا صادقا .

رابعا : كذلك لا يذكر أسماء الأولياء والصالحين مجردة عن الدعاء لهم ، بل يذكرهم ويدعو لهم بأكمل صورة غير مقتصر على المختصرات والرموز حسب مراتبهم ، مثلا "رضي الله تعالى عنهم" ، و"رحمهم الله

---

(1) التعزية عبارة عن تماثيل مصنوعة من أوراق وقصب أو من ذهب وفضة ، يتخذها الجهال ذكرى للإمام حسين – رضي الله تعالى عنه – كما يصطنعون " كربلا " في الهند ، ويدفنوها فيها .

تعالى" ، و"نوّر الله تعالى مراقدهم" وغيرها ، وذلك تحاشيا عن البخل في حقه – عليه الصلاة والسلام – وحق الصالحين – رضي الله تعالى عنهم .

خامسا : يكثر من ذكر صفات وخصائل حميدة عند إتيان أسماء الأنبياء والصالحين استلذاذا واستعظاما لِما كان يفعم قلبه حبا ، وعقيدة ، وإجلالا غاية الإجلال ، وتكريما بحسن الحفاوة والاهتمام .

سادسا : شديد التواضع مع نفسه ، فهو سيف بتار ، وقاهر جبار على المنكرين الملحدين ، وحليم متواضع مع نفسه (🕮□⅄ৎ⑨●✂✐↗↓
❼■✍♦⇖ ✂✍✍☻⚲☰↗⊞◉✍✍❻✍ ❻↓□☒✍♦✍✍✐↗↓
✍♦❹✍☪♦⚞⊻☠⬀ ☎) [الفتح : 29]. ولا رأفة في قلبه ، ولا رحمة في سريره ، ولا ليونة في طبعه ، فهو أشد من الفولاد على من يتجرأ في جناب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بوقاحة أو أدنى جرأة يمس احترام النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - لما كان يفعم قلبه بحبه - صلى الله عليه وسلم .

هذه وغيرها من الخصائص الأسلوبية التي توافرت في مؤلفات الإمام بوفرة ملحوظة مما يدل على أدبه وصدقه في حبه لله - عزّ وجلّ - والأنبياء والصالحين .

وفاته ومدفنه :

في مدينة " بريلي " حيث مرقده ، توفي - رحمه الله تعالى - في 25 من صفر المظفر سنة 1340 هـ / 28 من تشرين أول (أكتوبر) عام 1921م [1] بعد حياة نسجت أياديها على ظهر الزمان خمسا وستين سنة ، فيها ورود مطرزة تتمتع بالحيوية والنشاط ، ونقوش مزخرفة تسر الناظرين ، فليكثر الله تعالى أمثاله ويخلد ذكراه ، ويجعل الجنة مثواه .

أنوار أحمد البغدادي

بغداد ، العراق

15 شعبان 1423 هـ / 21 أكتوبر 2002 م

---

(1) ينظر : سوانح أعلى حضرة ، ص : 388 .

M

صلات الصفا

في

نور المصطفى

S

!

السؤال الأول

[سأله مولوي نور الدين أحمد من كوليار (الهند) في 28 من ذي القعدة (1317هـ]

ماذا يقول علماء الدين في مسألة أن الله تعالى خلق النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – من نوره وخلق بقية المخلوقات من نور النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – فبأي حديث يثبت ذلك ؟ وما هي نوعيته ؟

بينوا تؤجروا !

الجواب الأول

اللهم لك الحمد يا نور ، يا نور النور ، يا نورا قبل كل نور ، ونورا بعد كل نور ، يا من له النور ، وبه النور ، ومنه النور ، وإليه النور ، وهو النور ، صلّ وسلّم وبارك على نورك المنير الذي خلقته من نورك ، وخلقت من نوره الخلق جميعا ، وعلى أشعة أنواره ، وآله وأصحابه ، و نجومه وأقماره أجمعين – آمين – .

روى تلميذ الإمام الأجل سيدنا الإمام مالك [1] - رضي الله تعالى عنه - وأستاذ الإمام الأبجل سيدنا الإمام أحمد بن حنبل [1] ، وأستاذ الإمام

(1) الإمام مالك : هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري ، أبو عبد الله المدني، شيخ الأئمة ، وإمام دار الهجرة ، صاحب المذهب . حدث عن : نافع ، والمقبري ، والزهري ، وعبد الله بن دينار ، وخلق كثير . وحدث عنه : أمم لا يكادون يحصون ، منهم : ابن المبارك ، والقطان ، وقتيبة . قال الإمام الشافعي : إذا ذكر العلماء فمالك النجم . توفي سنة 179 هـ . (ينظر : تذكرة الحفاظ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748 هـ) وضع حواشيه : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998 م/1419 هـ ، 1 / 154 – 157 ، والأعلام (قاموس تراجم) لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ط / 16 ، 2005 م: 257/5) .

البخاري [2] والإمام مسلم [3] ، حافظ الحديث أحد الأعلام عبد الرزاق أبو بكر بن همام [1] في مصنفه عن سيدنا وابن سيدنا جابر بن عبد الله

---

(1) الإمام أحمد بن حنبل : هو شيخ الإسلام ، وسيد المسلمين في عصره ، الحافظ الحجة ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ، ولد سنة 164 هـ . سمع سفيان بن عيينة ، وعنه : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وأبو زرعة ، وجماعة . قال أبو عبيد : انتهى العلم إلى أربعة ، أفقههم أحمد . توفي إلى رضوان الله تعالى في يوم الجمعة ثاني عشر من ربيع الأول 241هـ . وله سبع وسبعون سنة . (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي،16/3) .

(2) الإمام البخاري : هو إمام الحفاظ ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي ، صاحب الصحيح ، والتصانيف ، مولده في شوال سنة 194 هـ ، وأول سماعه للحديث سنة 205 هـ ، حفظ تصانيف ابن المبارك وهو صبي ، ونشأ يتيما ، وكان رأسا في الذكاء ، ورأسا في العلم ، ورأسا في الورع ، والعبادة ، كتب عن أكثر من ألف رجل ، وكان يحفظ مائة ألف حديث صحيح ، ومائتي ألف حديث غير صحيح ، قال ابن خزيمة عنه : ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري ، توفي ليلة عيد الفطر سنة 256هـ رحمه الله تعالى . (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي،105/2) .

(3) الإمام مسلم : هو مسلم بن الحجاج الإمام الحافظ حجة الإسلام أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صاحب " الصحيح " ، ولد سنة أربع ومائتين ، وأول سماعه سنة ثماني عشرة ومائتين فأكثر عن يحيى بن يحيى التميمي ، والقعنبي ، وأحمد بن حنبل ، وخلق كثير . روى عنه : الترمذي حديثا واحدا ، وإبراهيم بن أبي طالب ، وابن خزيمة ، والسراج ، وخلق سواهم . ولصحيحه قيمة كبيرة عند العلماء ، حتى قال الحافظ أبو علي النيسابوري : ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم . والجمهور من العلماء رجحوا صحيح البخاري عليه . توفي مسلم في رجب سنة إحدى وستين ومائتين وقبره يزار . (ينظر : البداية والنهاية ، تاليف : أبو الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت : 700 – 774 هـ) تحقيق : براز أبو حيان ، الطبعة الأولى 1996 م ، دار أبي حيان ، القاهرة ، 11 / 46 ، وتذكرة الحفاظ ، للإمام الذهبي :125/2) .

الأنصاري[2] - رضى الله تعالى عنهما - قال : قلت : يا رسول الله ! بأبي أنت وأمي ، اخبرني عن أول شيئ خلقه الله تعالى قبل الأشياء ، قال : (يا جابر إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ، ولا قلم ، ولا جنة ، ولا نار ، ولا ملك ، ولا سماء ، ولا أرض ، ولا شمس ، ولا قمر ، ولا جني ، ولا إنسي ، فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق ، قسَّم ذلك النور أربعة أجزاء ، فخلق من الجزء الأول القلم ، ومن الثاني اللوح ، ومن الثالث العرش ، ثم قسَّم الجزء الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول حَمَلَة العرش ، ومن الثاني الكرسي ، ومن الثالث باقي الملائكة ، ثم قسَّم الرابع أربعة أجزاء ، فخلق من الأول السماوات ، ومن الثاني الأرضين ، ومن الثالث الجنة والنار ، ثم قسَّم الرابع أربعة أجزاء ... الحديث بطوله) [3] .

---

(1) عبد الرزاق الصنعاني : هو ابن همام بن نافع الحميري الصنعاني ، صاحب " المصنف " . روى عن : عبيد الله بن عمر ، وابن جريج ، ومعمر ، والأوزاعي ، والثوري ، وخلق . وعنه : أحمد ، وإسحاق ، وابن معين ، وغيرهم . كان من أوعية العلم . قال الإمام أحمد : كان يحفظ حديث معمر . وقال الذهبي : وثقه غير واحد ، وحديثه مخرج في الصحاح ، وله ما ينفرد به ، ونقموا عليه التشيع ، وما كان يغلو فيه ، بل كان يحب عليا – رضي الله تعالى عنه – ويبغض من قاتله . قال ابن سعد : توفي في نصف شوال سنة 211 هـ وعمره خمس وثمانين سنة . (ينظر : تذكرة الحفاظ ، 1 / 266 – 267) .

(2) جابر بن عبد الله الأنصاري : هو ابن عمرو ، الإمام أبو عبد الله الأنصاري الفقيه ، مفتي المدينة في زمانه ، كان آخر من شهد بيعة العقبة في السبعين من الأنصار وحمل عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – علما كثيرا نافعا ، وله منسك صغير في الحج أخرجه مسلم ، وأراد شهود بدر وشهود أحد فكان أبوه يخلفه على أخواته ، ثم شهد الخندق ، وبيعة الرضوان . حدث عنه : سعيد بن ميناء ، وأبو الزبير ، وأبو سفيان طلحة بن نافع ، والحسن البصري ، وسالم بن أبي الجعد ، ومحمد بن المنكدر ، وخلق كثير . عاش أربعا وتسعين سنة ، توفي في سنة 78 هـ – رضي الله تعالى عنه . (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، 1/35-36) .

(3) لم أجد هذا الحديث في مصنف عبد الرزاق بتحقيق المباركفوري ، ولعله في مخطوطة لم تصل إليها يد المحقق ، إذ إن الحديث تلقاه الأئمة الكبار من علمائنا الموثوق بهم بالقبول ، لا ينبغي

ورواه الإمام البيهقي[1] أيضا بنحوه[2] في " دلائل النبوة " ، واعتمد عليه وأسند إليه أجلة الأئمة من أمثال الإمام القسطلاني [3] في المواهب

التجني عليهم بتكذيبهم ، وهم كثيرون ، وقد أشار المؤلف إلى بعضهم ، وأضيف هنا بعضهم الآخر من أمثال ابن حجر الهيثمي (ت 974 هـ) في الفتاوى الحديثية ، ص : 89 ، وابن حجر في المطالب العالية ، 177/4 ، والعجلوني في كشف الخفاء ، 311/1 ، وغيرهم .

(1) الإمام البيهقي : هو الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان , أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي البيهقي , صاحب التصانيف ، ولد سنة 384 هـ ، قال عبد الغافر في تاريخه : كان البيهقي على سيرة العلماء قانعا باليسير متجملا في زهده وورعه . وعن إمام الحرمين أبي المعالي قال : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا أبا بكر البيهقي , فإن له المنة على الشافعي لتصانيفه في نصرة مذهبه . وتواليفه تُقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد ، جمع بين علم الحديث والفقه وبيان علل الحديث ووجه الجمع بين الأحاديث . حضر في أواخر عمره من " بيهق " إلى " نيسابور " وحدث بكتبه ، ثم حضره الأجل في 10 جمادى الأولى سنة 458 هـ ، فنقل في تابوت فدفن ببيهق هي ناحية من أعمال نيسابور على يومين منها ، وخسروجرد هي أم تلك الناحية . (ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ، 3 / 219 – 221 والأعلام للزركلي :116/1) .

(2) كما نسب إليه الزرقاني في شرح المواهب ، فقال : إن هذا الحديث رواه البيهقي أيضا ببعض المخالفة . (ينظر : شرح الزرقاني على المواهب ، 46/1) .

(3) الإمام القسطلاني : هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك المعروف بالقسطلاني ، الأصل المصري ، الشافعي (شهاب الدين ، أبو العباس) محدث ، مؤرخ ، فقيه ، ومقرىء . ولد بالقاهرة في ذي القعدة سنة 851 هـ وتوفي بها سنة 923 هـ . له " إرشاد الساري شرح صحيح البخاري " عشرة أجزاء . و" المواهب اللدنية في المنح المحمدية " في السيرة النبوية ، و" لطائف الإشارات في علم القراءات " و" الكنز " في التجويد ، و" الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر " و" شرح البردة " سماه : " مشارق الأنوار المضية " وغيرها . (ينظر : الأعلام للزركلي :232/1 ، ومعجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) تاليف : عمر

اللدنية [1] والإمام ابن حجر المكي [2] في أفضل القرى ، والعلامة الفاسي [3] في مطالع المسرات [4] والعلامة الزرقاني [5] في شرح المواهب [1]

رضا الكحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى : 1993 م / 1414 هـ ، 1 / 254) .

(1) ينظر : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني (ت 923هـ) بشرح العلامة الزرقاني ، الطبعة الأولى (1325هـ) المطبعة الأزهرية بمصر، 210/1 .

(2) الإمام ابن حجر المكي : هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي السعدي الأنصاري ، شهاب الدين ، شيخ الإسلام ، أبو العباس ، فقيه باحث مصري ، مولده في محلة أبي الهيثم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته ، ولد سنة 909 هـ . تلقى العلوم في الأزهر ، وتوفي بمكة سنة 974 هـ . له تصانيف كثيرة كلها نافعة مفيدة ، منها : " الصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة " و" الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان " ، و" الفتاوى الهيثمية " أربع مجلدات ، وشرح مشكاة المصابيح للتبريزي ، و" خلاصة الأئمة الأربعة " ، وغيرها . (ينظر : الأعلام للزركلي ، 1 ، 234) .

(3) العلامة الفاسي : هو محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي ، أبو عيسى ، محدث ، مؤرخ ، نسابة ، صوفي ، ولد بالقصر الكبير بالمغرب الأقصى سنة 1023هـ ، وتوفي بفاس في 9 من شعبان سنة 1109هـ . من تصانيفه : " تحفة أهل الصديقية في أسانيد الطائفة الجزولية ، و" داعي الطرب في أنساب العرب " ، و"مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات " ، وغيرها . (ينظر : معجم المؤلفين ، 3 / 737) .

(4) ينظر : مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات للإمام العلامة محمد المهدي الفاسي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر ، (1980م) ، ص : 210 .

(5) العلامة الزرقاني : هو محمد الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان المصري الأزهري المالكي ، الشهير بالزرقاني ، الإمام المحدث ، الناسك النحرير الفقيه العلامة ، ولد بالقاهرة سنة 1055 هـ ، أخذ عن والده وعن النور الشبراملسي ، وعن الشيخ محمد البابلي ، وغيرهم ، له مؤلفات قيمة ، منها : "شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث " ، و" شرح على المؤطا " ، و" شرح على المواهب اللدنية " ، و" مختصر المقاصد الحسنة " ، وغيرها

والعلامة دياربكرى [2] في الخميس [3] والشيخ المحقق الدهلوى [4] في مدارج النبوة [1] وغيرها .

. توفي بالقاهرة سنة 1122 هـ / 1710 م . (ينظر : معجم المؤلفين : الكحالة ، 3 ، 383 ، ومقدمة شرح الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ، ضبطه وصححه : محمد عبد العزيز الخالدي ، ط / 1 ، 1425 هـ / 2004 ، نشره : مركز أهل السنة ، بركات رضا ، فور بندر ، غجرات (الهند) ، 1 / 8) .

(1) ينظر : شرح العلامة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت 1122هـ) على المواهب اللدنية للقسطلاني ، الطبعة الأولى (1325هـ) المطبعة الأزهرية بمصر، 1/ 46 – 47 .

(2) العلامة الدياربكري : هو حسين بن محمد الحسن الدياربكري : مؤرخ ، نسبته إلى ديار بكر . ولي قضاء مكة ، وتوفي فيها سنة 966هـ / 1550م . له " تاريخ الخميس" مجلدان ، أجمل به السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والملوك ، و" مساحة الكعبة والمسجد الحرام " وسالة . (ينظر: الأعلام للزركلي :256/2) .

(3) ينظر : تاريخ الخميس للعلامة ديار بكري 1/ 22 .

(4) الشيخ عبد الحق الدهلوي : هو إمام المحدثين ، و شيخ الشيوخ ، ومرجع العلماء بالهند ، المحقق عبد الحق بن الشيخ سيف الدين ترك البخاري . جده آغا محمد نزل من بخارا إلى دلهي أيام الملك سلطان علاء الدين الخلجي واستوطن فيها . وفي هذه المدينة ولد الشيخ سنة 957هـ وبها نشأ وسافر إلى الحرمين الشريفين حاجا عام 996هـ وعمره سبع وثلاثون سنة ، وهناك قرأ صحيح البخاري ، ومسلم على علمائها ، ثم قصد الشيخ عبد الوهاب المتقي ، وأكمل عنده علم الطريقة والسلوك حتى جمع بين العلم والعمل . وأصبح عَلما في الحديث ، والفقه ، والعلوم الإسلامية الأخرى ، وبه راج الحديث في الديار الهندية ، وإليه ترجع سيادة العلم فيها. من مؤلفاته : " أخبار الأخيار " ، و" جذب القلوب " ، و" أشعة اللمعات شرح المشكاة " ، و" لمعات التنقيح شرح المشكاة " بالعربية ، ، و"سرالسعادة" ، و" ما ثبت من السنة " وغيرها من كتب مفيدة . توفي – رحمه الله تعالى – في ربيع الأول سنة 1052هـ عن عمر يناهض أربعا وتسعين سنة . (ينظر : ترجمته في مقدمة كتابه " أشعة اللمعات شرح المشكاة ، نقله من الفارسية إلى الأردية : مولانا محمد سعيد أحمد النقشبندي ، نشره : الاعتقاد دار النشر ، دلهي، أكتوبر ، 1988 م ، 1 / 13 – 125) .

وملخص القول إن الحديث في مقام عظيم إذ تلقاه الأئمة بالقبول ، ولهذا لا مرية في أنه حديث حسن وصالح ومقبول ومعتمد عليه ، وتلقي العلماء بالقبول شيئ عظيم لا تبقى حاجة إلى ملاحظة السند بعده ، بل لا حرج حتى إن كان السند ضعيفا ، كما بيّناه في " منير العين في حكم تقبيل الإبهامين " .

ولقد قال العلامة المحقق العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي [2] – قدس سره القدسي – في "الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية " : (قد خلق كل شيئ من نوره - صلى الله تعالى عليه وسلم - كما ورد به الحديث الصحيح)[3] . ذكره في المبحث الثاني بعد النوع الستين من آفات اللسان في مسألة ذمّ الطعام.

وفي "مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات" : (وقد قال الأشعري [4] : إنه تعالى نور ليس كالأنوار ، والروح النبوية القدسية لمعة من نوره ،

---

(1) ينظر : مدارج النبوة للشاه عبد الحق المحدث الدهلوي ، مطبوعة المكتبة النورية الرضوية ، سكهر ، باكستان ، 2/2 .

(2) عبد الغني النابلسي : هو عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي . شاعر ، عالم بالدين والأدب ، مكثر من التصانيف ، متصوف . ولد ونشأ في دمشق . ورحل إلى بغداد ، وعاد إلى سورية ، فتنقل في فلسطين ولبنان ، وسافر إلى مصر والحجاز ، واستقر في دمشق ، وتوفي بها سنة 1143هـ . له مصنفات كثيرة جدا ، منها : " الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية " ، و" تعطير الأنام في تعبير المنام " ، و" ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث " وغيرها . . (ينظر : الأعلام للزركلي : 2 / 256) .

(3) الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعلامة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي ، مصر (1290هـ) .

(4) أبو موسى الأشعري : هو أبو موسى الأشعري – رضي الله تعالى عنه – هاجر إلى النبي – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – فقدم مع جعفر زمن فتح خيبر ، واستعمله النبي – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – مع معاذ على اليمن ، وكان عالما عاملا صالحا تاليا لكتاب الله ، إليه المنتهى في حسن الصوت بالقرآن ، حدث عنه : طارق بن شهاب ، وابن المسيب ، وخلق .

والملائكة شرر تلك الأنوار ، وقال - صلى الله تعالى عليه وسلم : أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيئ . وغيره مما في معناه) [1] والله سبحانه وتعالى أعلم .

السؤال الثاني :

[استفتى به مولوي ألطاف الرحمان من " طاندة " محافظة مراد آباد (الهند) في 14 من شعبان سنة 1313هـ]

ماذا يقول علماء الدين في الأقوال الآتية عما ورد في بعض الكتب التي تتحدث عن ولادته – صلى الله تعالى عليه وسلم – الشريفة أن النور المحمدي مخلوق من نور الله ، حيث يقول زيد : إنه في حكم المتشابه إذا صح الحديث . ويقول عمرو : إنه من انفكاك ذاته تعالى . بينما يذهب بكر إلى أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - خلق من نور الله مثل إشعال شمعة من شمعة أخرى . ويؤكد خالد أن القول بالمتشابه مذهبه الأسلم ، ولا كلام له على المذهب السالم .

بينوا تؤجروا !

الجواب الثاني :

روى عبد الرزاق في مصنفه عن سيدنا جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنهما - قال : قال النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم : (يا جابر إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره) . ذكره الإمام القسطلاني في المواهب [2] وغيره من العلماء الكرام .

وإن ما قاله عمرو فهو باطل فظيع وضلالة بينة ، بل يؤدي إلى أمر خطير للغاية ، لأن الله - تعالى عزّ وجلّ - منزه عن أن يخلق شيئ منفكا من ذاته . وأما قول زيد : بشرط الصحة ففيه رائحة الرفض والإنكار ،

أقرأ أهل البصرة وأفقههم . وفي الحديث : سيد الفوارس أبو موسى . له (355) حديثا ، توفي بالكوفة سنة 44 هـ – رضي الله تعالى عنه . (ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي : 22/1. والأعلام للزركلي : 114/4. وتهذيب التهذيب : 4111/610/3) .

(1) مطالع المسرات للعلامة الفاسي ، ص : 254 .

(2) المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني مع شرح الزرقاني ، 1/ 46 – 47 .

وهذه جهالة ، فقد أجمع العلماء على أنه لا حاجة للرجوع إلى اصطلاح المحدثين (الصحة) في الفضائل ومع هذا فقد صرح العلامة العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي (قدس سره القدسي) بصحته .

وعلاوة على ذلك يكفي دليلا على صحته بأن الأئمة والعلماء والأولياء والعرفاء قديما وحديثا ذكروه في تصانيفهم وكلماتهم وتلقوه بالقبول ، فإن الحديث يتقوى بتلقي الأئمة بالقبول ، كما أشار إليه الإمام الترمذي [1] في جامعه ، وصرح به علماؤنا في الأصول [2].

نعم ، يصح القول به على اعتبار حقيقة كيفية المتشابهات ، فحقا لم يخبرنا رب العزة جل جلاله ولا رسوله الأكرم - صلى الله تعالى عليه وسلم - عن سبب ولادته - صلى الله تعالى عليه وسلم - من نور الله ، ولا يمكننا أن نعرف حق المعرفة بدون الإخبار ، وهذا هو معنى المتشابهات .

وما قاله بكر يكفي لدفع فكرة عمرو الضالة بأن الشمعة تتنور بالشمعة بدون أن يتجزا جزء من الشمعة الأولى وتصبح شمعة أخرى ، وأفضل من هذا مثال الشمس وأشعتها بأن الشيئ الذي ألقت عليها الشمس ضوءها ، فقد تجلى وتنور ، ولم يحدث انفصال شيئ من ذات الشمس ، إلا أنه لا مماثلة بها لذلك النور مطلقا ، وكل ما يمثل به في ذلك يبقى ناقصا على آلاف الوجوه ، ولهذا لاشك أن الطريق الأسلم هو قول خالد وهو مذهب الأئمة الأسلاف - رضى الله تعالى عنهم .

السؤال الثالث :

---

(1) الإمام الترمذي : هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي ، الترمذي الضرير ، صاحب " الجامع " ، و" العلل" . سمع قتيبة بن سعيد ، وأبا مصعب ، وإسماعيل بن موسى السدي ، وطبقتهم . وتفقه في الحديث بالبخاري . حدث عنه : مكحول بن الفضل ، ومحمد بن محمود بن عنبر ، وحماد بن شاكر ، وغيرهم . قال أبو سعيد الإدريسي : كان أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث . وقال ابن حبان في " الثقات " : كان أبو عيسى ممن جمع ، وصنف ، وحفظ ، وذاكر . توفي سنة 279هـ بترمذ . (ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ، 154/2) .

(2) ينظر : المرقاة لملا على القاري ، 3 / 98 .

من الملاحظ أنني لست عالما ولا فاضلا حتى تخال فكرة الجدال والنقاش فيما أكتبه إلى حضرتكم وليس ذلك إلا للإطلاع فقط لأصحح إن كان خطا في عقيدتي .

يبدو لي أن المخلوقات جميعها تولد ملبدة بالوساخة والنجاسة بينما خلق الله النبي - صلى الله تعالى عيله وسلم - محفوظا من القذارة [1] وفضله بذلك على جمبع المخلوقات ، وان كان هذا صحيحا فيتعين لديَّ معنى الحديث كما يأتي : (قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم : يا جابر ! إن الله خلق نور نبيك من نوره).

وإنني لست مقتنعا بما جئتم به مثالا بالشمعة ، بل أشك فيه ، وأرجو أن يدفع الشك بالجواب المُقنع ، وذلك لأنه لا ريب في صحة ما قلتم إن شمعة اشتعلت بشمعة ، ثم اشتعلت شموع أخرى بالشمعة الثانية ، ولم يحدث أي نقص في الشمعة الأولى ، ولا في الثانية ، ولكنه أليست هذه الشموع كلها متحدة في الإسم والذات والضوء ؟ وتتساوى كل هذه الشموع في الرتبة ؟ بينوا تؤجروا !

الجواب الثالث :

لا يشترك الخلق جميعه في التلبد بالنجاسة عند الولادة فإن جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - ولدوا طاهرين ومنزهين من النجاسة والقذارة ، بل يثبت في الحديث أن الحسنين - رضي الله تعالى عنهما - أيضا وُلِدا نظيفين .

وليس معنى النور الفضل ، والمثال يُضرب للإفهام ، وليس لبيان المساواة من كل النواحي،فقد مُثّل النور الإلهي في القرآن العظيم :

﴿ ✍☜☺☒✘☸✦⇕▤•▭◻▥◻▭▫✍❸✍◻✍✋✍⌚⇔⌛◆✍◻↘ ﴾ ☎ [النور : 35] فأين السراج ؟ وأين القنديل ؟ وأين نور الرب الجليل ؟ !

---

(1) جاء في الحديث (أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - خرج نظيفا ، ما به قذر - رواه ابن سعد) ينظر : (الخصائص الكبرى للسيوطي ، 46/1 . والأنوار المحمدية للنبهاني ، ص : 309) .

ولقد جاء هذا المثال لدفع اعتراض الوهابية بأنه خلق نور النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - من نور الله يستلزم التجزؤ والإنفكاك في نور الله ، فأجيب لهم بأن شمعة قد تستنير بشمعة ولا يستلزمها التجزؤ والإنفصال ، فلما كانت هذه حال هذا النور الفاني المجازي الذي يخلق نورا من نوره ، فماذا يكون شأن ذلك النور الإلهي ؟

وكذلك لا تستلزم خلق نور من نور المساواة في الإسم والضوء فإن القمر يستنير من الشمس ، ولكن أين ضوء الشمس ؟ وأين ضوء القمر ؟ فقد جاء في علم الهيئة أن ضوء الشمس يساوي أضواء تسعين ألفا من البدر الكامل – والله تعالى أعلم .

السؤال الرابع :

[استفتى به الحكيم محمد إبراهيم البنارسي من كولكتا (الهند) في 19 من ذي القعدة 1329هـ]

ماذا يقول علماء الدين في مسألة أن الرسول المقبول - صلى الله تعالى عليه وسلم- [1] خلق من نور الله أم لا ؟ وإن خلق من نور الله ، فمن أي نور ؟ نور ذاتي أو نور صفاتي أو من كليهما ؟ وما هي حقيقة النور ؟ بينوا تؤجروا !

الجواب الرابع :

قبل الإجابة على السؤال يرجى الانتباه على مسألة لقوله - صلى الله تعالى عليه وسلم : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه) [2] .

---

(1) يبدو من السطور التي تليها أن السائل اكتفى هنا بكتابة ألفاظ مختصرة في الصلاة على النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – ولكن الناشر قد أثبته كاملة الصورة ، كما أثبتناه كذلك تبعا له وللأفضل .

(2) رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ، كتاب الإيمان ، باب : " بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان " ينظر : صحيح مسلم ، تأليف : مسلم بن الحجاج (ت 261هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 69/1 . وأبو داؤد في سننه ، سنن

وهي أنه كما تنبغي الصلاة على حضرة النور ، سيد العالم - صلى الله تعالى عليه وسلم - عند ذكره الشريف أن تؤدى نطقا في صورة كاملة (اللهم صلّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أبدا) ولا يجوز البتة الإكتفاء بالقول (صاد) أو (عم) أو (صلعم) أو (صللم) ، بل لا معنى لهذه الألفاظ ، وتدخل تحت قوله تعالى : ◆✌●⑨◆⌛◆▫

✂✍✎✋⚘♋⇨▫☎ ←◆◘■☺←❑✂☎ ⚐◆❑⬀◆⚐⌚

➘☒❷⬀❸◆ ✂✍✎✋⚘♋❾ ⚐♋⓿✍◆ ♑◆♑←⚐⇨ بأن الظالمين غيَّروا القول المأمورين به بلفظ آخر :

▫◆⚲❑☼❽◆♑⇘☪◆✎☜▲◆✍■❼ ✂✍✎✋⚘♋⇦×◆

←◆◘■☺←❑✂☎ ❻♉♉⇧❽✡✂♗♓♋♊⌘

✂✍✎♑○○☺⊡✍✎⬀♋⚐☐ ♑⊡☺⊡✍✎⚐⊡⚐☼←❑✂☎

③◆⊞⇘○⋒◑➔❑♌◆ [البقرة : 59] كذلك لا يجوز الاكتفاء بهذه الألفاظ المختصرة في الكتابة أيضا ، لأن القلم أحد اللسانين ، بل ينقل عن الفتاوى التاتارخانية بأنه فيها حكم شديد على هذه الفعلة ، وعَدَّها من تخفيف شأن النبوة– معاذ الله – كما في الطحطاوي على الدر المختار : (يحافظ على كتب " عليه الصلوة والسلام " على رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - ولا يسأم من تكراره ، وإن لم يكن في الأصل ، ويصلي بلسانه أيضا ، ويكره الرمز بالصلاة ، والترضي بالكتابة ، بل يكتب ذلك كله بكماله ، وفي المواضع عن التاتارخانية : من كتب " عليه السلام " بالهمزة والميم يكفر لأنه تخفيف ، وتخفيف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كفر بلا شك ، ولعله إن صح النقل فهو مقيد بقصده وإلا فالظاهر أنه ليس بكفر ، نعم الإحتياط في الإحتراز عن الإيهام والشبهة)[1] مختصرا .

وبعد هذا العرض إليكم جواب المسألة بعون الملك الوهاب :

أبي داؤد ، تأليف : سليمان بن الأشعث أبي داؤد السجستاني (275هـ) تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت ، 4 / 123 .

(1) حاشية طحطاوي على الدر المختار للعلامة طحطاوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1 / 6 .

إن النور في العرف العام عبارة عن كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات ، قال السيد في تعريفاته : النور كيفية تدركها الباصرة أولا وبواسطتها سائر المبصرات) [1] .

والحق أن النور أجلى من أن يعرف به ، والذي ذُكرَ هو تعريف الجلي بالخفي، كما نبَّهَ عليه في المواقف وشرحها . والنور بهذا المعنى عرض وحادث ، والرب - عزَّ وجلَّ - منزه عن ذلك . وعند المحققين : النور هو الظاهر بنفسه والمُظهر لغيره ، كما ذكره الإمام حجة الإسلام الغزالي [2] ثم العلامة الزرقاني في شرح المواهب الشريفة [3] والله - عز وجل - بهذا المعنى نور حقيقي ، بل في الحقيقة هو النور ، والآية الكريمة :

﴿ ✂︎♋︎♋︎✎✦ ☼🡐❑❻🡓 ✂︎♋︎♋︎♏︎○○☺◪◷❑◆◷✞⮱ ❑◆✂︎♋︎♋︎☞❻⬀⮝⮴ ﴾ [النور : 35] على المعنى الحقيقي بلا تكلف وبلا تأويل ، فإن الله - عز وجل - هو الظاهر بنفسه والمُظهر لغيره من السماوات والأرض ومن فيهن وسائر المخلوقات .

ولا شك في أن حضرة النبي النور سيد العالم - صلى الله تعالى عليه وسلم - قد خلق من نور الله – عز وجل – الذاتي ، جاء في الحديث : (إن

(1) التعريفات ، تأليف : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، الطبعة الثالثة (1988م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص : 246 .

(2) الإمام الغزالي : هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، المعروف بالغزالي (زين الدين ، حجة الإسلام ، أبو حامد) حكيم ، متكلم فقيه ، أصولي ، فيلسوف ، متصوف ، له نحو مئتي مصنف . مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس ، بخراسان) رحل إلى الشام فمصر ، وعاد إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلدته ولزم الانقطاع . نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف . توفي بالطابران سنة 505 هـ . من تصانيفه الكثيرة المفيدة : إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة ، والمستصفى في أصول الفقه ، والمنقذ من الضلال ، وغيرها . (ينظر : الأعلام للزركلي : 22/7 ، ومعجم المؤلفين ، 3 / 671) .

(3) شرح الزرقاني على المواهب ، 76/1 . ومطالع المسرات للفاسي ، ص : 210 .

الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره) . رواه عبد الرزاق ، ونحوه عند البيهقي .

فقد جاء في الحديث (نوره) حيث يرجع ضميره إلى الله ، وهو اسم الذات ، ولم يقل - صلى الله تعالى عيله وسلم : (من نور جماله) أو (نور علمه) أو (نور رحمته) حتى يفهم منه أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - خلق من نور صفاته تعالى ، يقول العلامة الزرقاني تحت هذا الحديث : ("من نوره" أي : من نور ، هو ذاته) [1] يعني أن الله - عز وجل - قد خلق النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم- من النور الذي هو عين الذات الإلهي ، أي : من ذاته بلا واسطة – كما سيأتي تقريره .

ويقول العلامة أحمد القسطلاني في " المواهب " الشريفة : أنه (لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية ثم سلخ منها العوالم كلها ، علوها ، وسفلها) [2] وفي شرح العلامة : ("والحضرة الأحدية" هي أول تعينات الذات ، وأول رتبها الذي لا اعتبار فيه لغيره الذات ، كما هو المشار إليه بقوله - صلى الله تعالى عليه وسلم : (كان الله ولا شيئ معه . ذكره الكاشي) [3] .

ويقول الشيخ المحقق مولانا عبد الحق المحدث الدهلوي في "مدارج النبوة" : (قد خلق الأنبياء من أسماء الله الذاتية ، والأولياء من أسمائه الصفاتية ، وبقية الأكوان من صفاته الفعلية ، وسيد الرسل من ذات الحق ، وظهور الحق فيه بالذات) [4] .

ولكن – معاذ الله – لا يعني خلقه - صلى الله تعالى عليه وسلم - من نور الله الذاتي أن الذات الإلهي مادة لذات الرسالة كالطين للإنسان أو – عياذا بالله – أن جزءاً من الذات الإلهي أو كله أصبح ذات النبي ، لأن الله -

---

(1) شرح الزرقاني على المواهب ، 46/1 .

(2) المواهب للقسطلاني بشرح الزرقاني ، 27/1 .

(3) شرح الزرقاني على المواهب ، 27/1.

(4) مدارج النبوة لعبد الحق المحدث الدهلوي ، 609/2 .

عز وجل - منزه من التجزؤ والتفكك والاتحاد بأحد ما والحلول في شيئ ما والاعتقاد بأن حضرة سيد العالم – صلى الله تعالى عليه وسلم – أو شيئا ما جزء من الذات الإلهي ، أو الاعتقاد أن فردا من المخلوقات عين الذات الإلهي ، كفر .

أما أصل معنى هذا التخليق فالله ورسوله – جل وعلى ، وصلى الله تعالى عليه وسلم – أعلم به ، لأن حقيقة ذات الرسول – صلى الله تعالى عليه وسلم – لا يعرفها أحد في هذا العالم ، كما في الحديث : (يا أبا بكر لم يعرفني حقيقة غير ربي)[1] فمن يدري حقيقة كونه - صلى الله تعالى عليه وسلم - مخلوقا من الذات الإلهي ؟ ولكنه كما يمكن فهمها في الظاهر هو أن حضرة الحق - عز جلاله - خلق العالم كله بواسطة محبوبه الأكرم - صلى الله تعالى عليه وسلم - فلولاه لما كان شيئ (لولاك ما خلقت الدنيا)[2] وقيل لآدم عليه الصلاة والسلام : (لولا محمد ما خلقتك ولا أرضا ولا سماء) [3] فالعالم كله خلق بواسطة حضرة صاحب "لولاك" صلى الله تعالى عليه وسلم ، يعنى بواسطته وسيلته وفضله ، لا أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - استفاض الوجود من حضرة العزة ، ثم هو أفاض الوجود على سائر البرية ، كما تزعم كفرة الفلاسفة من توسيط العقول ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ، هل من خالق غير الله ، هذا بخلاف حضرة النبي النور - صلى الله تعالى عليه وسلم - فإنه لم يخلق بوسلية أحد غير ربه ، بل خلق من الذات الإلهي بلا واسطة ، في شرح الزرقاني الشريف : (أي : من نور ، هو ذاته لا بمعني أنها مادة خلق نوره منها ، بل بمعنى تعلق الإرادة به بلا واسطة شيئ في وجوده) [4] .

---

(1) لم أعثر عليه .

(2) أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ، 227/5 . وينظر : المواهب للقسطلاني ، وشرح الزرقاني عليها ، 76/1 ، ومطالع المسرات ، ص :253 .

(3) ينظر : مطالع المسرات للفاسي ، ص : 253 .

(4) شرح الزرقاني على المواهب ، 46/1 . ينظر : مطالع المسرات ، ص : 210 .

أو على الأكثر لغرض التوضيح يلاحظ مثال ناقص تماما ، هو أن الشمس ألقت ضوءها على مِرآة عظيمة شفافة فتنورت ، وبنورها لم تظهر الأشعة فقط في المرايا ، وعيون الماء ، والهواء ، وفي المرايا وعيون الماء التي وقعت في ظلها ، بل حدثت فيها أشعة تستطيع أن تنور أشياء أخرى ، وقد يقع ضوء الشمس على بعض الجدران ، فهي متصفة بكيفية النور وإن لا يمكن لها أن تنور الأشياء الأخرى ، والتي لم تصل إليها الشمس أظهرها الهواء المتوسط ، كما هي حالة الجدران الداخلية للرواق المسقف ، حيث ظهرت ولم تحظ بكيفية النور ، فالمرآة الأولى منورة بذات الشمس مباشرة بلا واسطة ، وبقية المرائي والعيون منورة بواسطة المِرآة الأولى ، والجدران وغيرها منورة بواسطة الوسائط ، ثم كما أن ذلك النور الذي تجلى في المِرآة الأولى هو عين نور الشمس بدون أن تصبح الشمس أو جزء منها مِرآةً ، كذلك بقية المرايا والعيون التي تنورت بالمِرآة الأولى والجدران وغيرها من الأشياء التي وقعت الشمس عليها أو حظيت بالظهور فقط حيث لا شك أن نور جميعها نورُ الشمس وبها ظهورها ، وأما المرايا والعيون فهي ليست إلا وسائط للوصول ، وإذا نظرتَ في حد ذاتها فليس لها قدر من الظهور فضلا عن حظها في النور ، قال :

يك جراغ است درين خانه كه از بر تو آن

هر كجا مي نكري انجمنى ساخته اند

" في هذا الدار قنديل وبأشعته تتنور المحافل أينما ترى "

هذا المثال لمجرد تقريب الفهم ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ▭☐▤☐♦▥⇳⌖ℓ☺☒✍ ◷ℬ■ℬ❻☐←☼ ↖✎♦⌖♦✌ ▫ℓ❸☐&~☐✌ℓ◷⇔⌛♦~⌂↘☎ ﴾ [النور : 35] وإلا أين القنديل ؟ وأين النور الحقيقي ؟ ولله المثل الأعلى .

والتوضيح هنا مطلوب لشيئين فقط ، أحدهما أن تنظر إلى أن الأشياء كلها تنورت بالشمس بدون أن تصبح الشمس مِرآةً أو تنفصل منها جزء فتصير مِرآة ، وثانيهما أن مِرآة منورة بالشمس مباشرة بلا واسطة والبقية بالوسائط ، وإلا أين هذا المثال ؟ وأين حضرة الجلال ؟ - حاشاه – فالشمس محجوبة عن بقية الأشياء في المثال التي تنورت بالواسطة ، والله - عز

وجل - ظاهر فوق كل ظاهر ، والشمس محتاجة إلى الوسائط في إيصال ضوئها إلى هذه الأشياء ، والله عز وجل منزه عن الاحتياج ، وبالجملة لا يراد به التطبيق في شيئ ما ، ولا يمكن ذلك ، وحتى لا تساوي نفس الوساطة أيضا ، كما لا يخفى ، وقد أشرنا إليه .

يقول سيدي أبو سالم عبد الله العياشي (1) ، وهو أستاذ العلامة محمد الزرقاني، وتلميذ العلامة أبي الحسن الشبراملسي (2) في كتابه "الرحلة" ، ثم سيدي العلامة العَشماوي (3) - رحمهم الله جميعا - في شرح "الصلاة"

---

(1) أبو سالم عبد الله العياشي : هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي ، أبو سالم : فاضل ، من أهل فاس . نسبته إلى آية عياش (قبيلة من البربر تتاخم أرضها الصحراء ، من أحواز سجلماسة) ولد سنة 1037هـ ، وتوفي سنة 1090هـ ، وقام برحلة دوّنها في كتابه " الرحلة العياشية " في مجلدين ، سماها " ماء الموائد " وله " إظهار المنة على المبشرين بالجنة " و" مسالك الهداية " بأسانيد شيوخه ، و" تحفة الأخلاء بأسانيد الأخلاء " مصور في معهد المخطوطات (1317 تاريخ) ومنظومة في " البيوع " وشرحها ، و" تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية " ، وغيرها من كتب . ولحفيده محمد بن حمزة بن أبي سالم كتاب فيه ، سماه " الزهر الباسم في جملة من كلام أبي سالم " . (ينظر : الأعلام للزركلي : 129/4) .

(2) العلامة أبو الحسن الشبراملسي : هو علي بن علي الشَّبْرَامَلِّسي ، أبو الضياء ، نور الدين ، القاهري ، الشافعي ، كف بصره في طفولته ، وهو من أهل " شبراملس " بالغربية بمصر ، تعلم ، وعلّمَ بالأزهر الشريف ، فقيه أصولي ، ومؤرخ . توفي في 18 من شوال سنة 1087هـ . من تصانيفه : حاشية على نهاية المحتاج في فروع الفقه الشافعي ، وحاشية على شرح الشمائل لابن حجر الهيثمي ، وحاشية على المواهب اللدنية للقسطلاني ، وغيرها . (ينظر : الأعلام للزركلي ، 4 / 314 ، ومعجم المؤلفين ، 2 / 478) .

(3) العلامة العشماوي : لعله عبد اللطيف بن شرف الدين العَشماوي الأنصاري المالكي ، فقيه أديب ، لم يوقف على وفاته ، وإنما كان حيا سنة 1086هـ . من آثاره : الدرر المنثورة بشرح القصيدة المقصورة ، أي : الدريدية ، فرغ منها سنة 1086هـ ، وشرح على منظومته

لحضرة سيدي أحمد البدوي كبير [1] – رضي الله تعالى عنه : (إنما يدركه على حقيقته من عرف معنى قوله تعالى : ﴿ ✂︎➰✏︎ ✦ ☼ ← ☐ ❻ ↓ ✂︎➰◙○○☺◰◷☐◆◷✝︎⇧ ☐◆✂︎➰❀☞❻⇗⋎✈︎ ▤﴾ [النور : 35] ... وتحقيق ذلك على ما ينبغي ليس مما يدرك ببضاعة العقول ولا مما تسلط عليه الأوهام ، وإنما يدرك بكشف إلهي وإشراق حقه من أشعة ذلك النور في قلب العبد فيدرك نور الله بنوره ...

وأقرب تقرير يعطي القرب من فهم معنى الحديث أنه لما كان النور المحمدي هو أول الأنوار الحادثة التي تجلى بها النور القديم الأزلي ، وهو أول التعينات للوجود المطلق الحقيقي ، وهو مدد لكل نور كائن أو يكون ، وكما أشرق النور الأول في حقيقته ، فتنورت بحيث صارت هو نورا ... أشرق نوره المحمدي على حقائق الموجودات شيئا فشيئا ، فهي تستمد منه على قدر تنورها بحسب كثرة الوسائط وقلتها وعدمها ، وكلما أشرق نوره على نوع من أنواع الحقائق ظهر النور في مظهر الأقسام ، فقد كان النور الحادث أولا شيئا واحدا ، ثم أشرق في حقيقة أخرى ، فاستنارت بنوره تنورا كاملا بحسب ما تقتضيه حقيقتها ، فحصل في الوجود الحادث نوران

المسماة بالمنح السماوية بنظم العشماوية في الفقه . (ينظر : الأعلام للزركلي ، 4 / 59 ، معجم المؤلفين ، 2 / 214) .

(1) السيد أحمد البدوي : هو أحمد بن علي بن ابراهيم الحسيني ، أبو العباس البدوي : المتصوف ، صاحب الشهرة في الديار المصرية . أصله من المغرب ، ولد بفاس ، (596 هـ) وطاف البلاد وأقام بمكة والمدينة . ودخل مصر في أيام الملك الظاهر بيبرس ، فخرج لاستقباله هو وعسكره ، وأنزله في دار ضيافته . وزار سورية والعراق سنة 634هـ وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر . وتوفي سنة 675هـ ودفن في طنطا حيث تقام في كل عام سوق عظيمة يفد إليها الناس من جميع أنحاء القطر المصري احتفاءا بمولده . لم يذكر له مترجموه تصنيفا غير " حزب " و" وصايا " و" صلوات " وقد أفرد بعضهم سيرته في كتب ، منها كتاب "السيد البدوي" لمحمد فهمي عبد اللطيف . (ينظر : الأعلام للزركلي : 175/1) .

: مفيض ومفاض ، وفي نفس الأمر ليس هناك إلا نور واحد ، أشرق في قابل الاستنارة ، يتنور بتعددات المظاهر ، والظاهر واحد ، ثم كذلك كلما أشرق في محل ظهر بصورة الانقسام ، وقد يشرق نور المفاض عليه أيضا بحسب قوته على قابل آخر ، فتنور بنوره ، فيحصل انقسام آخر بحسب المظاهر ، وكلها راجعة إلى النور الأول الحادث إما بواسطة أو بدونها) [1] .

وقال : (وهذا غاية ما يمكن أن تصل إليه العبارة في هذا التقرير ، ومثله في قصور باعه وعدم تضلعه من العلوم الإلهية ، إن زاد في التقرير خشي على إيمانه ، وأقرب مثال يضرب لذلك ... نورُ المصباح ... فتصبح منه مصابيح كثيرة ، وهو في نفسه باق على ما هو عليه ، لم ينقص منه شيئ . وأقرب من هذا المثال إلى التحقيق وأبعد عن الأفهام نور الشمس المشرق في الأهلة والكوكب على القول بأن الكل مستنير بنوره ، وليس لها نور من ذاتها ، فقد يقال بحسب النظر الأول : إن نور الشمس منقسم في هذه الأجرام العلوية ، وفي الحقيقة ليس هذا إلا نورها ، وهو قائم بها ، لم ينقص منه شيئ ، ولم يزايلها منه شيئ ، ولكنه أشرق في أجرام قابلة للإستنارة فاستنارت ، وأقرب من هذا الفهم ما يحصل في الأجرام السفلية من إشراق أشعة نور الشمس على الماء ، وقوارير الزجاج ، فيستنير ما يقابلها من الجدران بحيث يلمح فيها نور كنور الشمس مشرق بإشراقه ، ولم ينفصل شيئ من نور الشمس عن محله إلى ذلك المحل ومن كشف الله حجاب الغفلة عن قلبه ، وأشرقت الأنوار المحمدية على قلبه بصدق إتباعه له أدرك الأمر إدراكا آخر لا يحتمل شكا ولا وهما .

نسأل الله تعالى أن ينور بنور العلم الإلهي بصائرنا ، ويحجب عن ظلمات الجهل سرائرنا ، ويغفر لنا ما اجترأنا عليه من الخوض فيما لسنا له بأهل ، ونسأله أن لا يؤاخذنا بما تقتضيه العبارة من تقصير في حق ذلك الجناب ...) [2] .

---

(1) الرحلة العياشية (ماء الموائد) لأبي سالم عبد الله العياشي (ت 1090هـ) الطبعة الثانية (1977م) دار المغرب بالرباط ، مصورة بالأوفسيط ، 1/ 145 – 146 .

(2) الرحلة العياشية ، 1/146 – 147 .

وبهذه الكلمة المنيرة حصلت فوائد عدة أخرى علاوة على المقاصد المذكورة:

أولا : قد اتضح أيضا بأنه كيف خلق العالم كله من النور المحمدي بدون أن يحصل التقسيم في النور المحمدي أو ينفصل جزء منه ، والذي جاء في الحديث بأن ذلك النور قسم إلى أربعة أجزاء ، وخلق القلم واللوح والعرش من الأجزاء الثلاثة ، ثم قسم الجزء الرابع إلى أربعة أجزاء ... إلى آخره ، حيث إن هذا الإنقسام انقسام أشعته ، كما لو يتجلى ضوء الشمس في ألف مرآة فيبدو في بادئ الأمر أن ضوءه منقسم على ألف جزء في حين لم يحصل الإنقسام في الشمس ولم يدخل شيئ في المرآة منفصلا عن الشمس .

واندفع ما استشكله العلامة الشبراملسي أن الحقيقة الواحدة لا تنقسم ، وليست الحقيقة المحمدية إلا واحدة من تلك الأقسام ، والباقي إن كان منها أيضا فقد انقسمت وإن كان غيرها فما معنى الأقسام ؟ [1] وحاول الجواب وتبعه فيه تلميذه العلامة الزرقاني بأن المعنى أنه (زاد فيه ، لا أنه قسم ذلك النور الذي هو نور المصطفى – صلى الله تعالى عليه وسلم – إذ الظاهر أنه حيث صوَّرَه بصورة مماثلة لصورته التي سيصير عليها ، لا يقسمه إليه وإلى غيره) [2] .

وحاصل جوابه كما قرره تلميذه العياشي أن معنى الإنقسام زيادة نور على ذلك النور المحمدي فيؤخذ ذلك الزائد ثم يزاد عليه نور آخر ثم كذلك إلى آخر الأقسام ، قال العياشي : (وهذا جواب مقنع بحسب الظاهر ، والتحقيق – والله تعالى أعلم – وراء ذلك) [3] .

ثم ذكر ما نقلنا عنه آنفا ورأيتني كتبت على هامش الزرقاني ما نصه : (أقول: تبع فيه شيخه الشبراملسي ، الحق أنه لا معنى له فإنه إذن لا يكون التخليق من نوره - صلى الله تعالى عليه وسلم - وهو خلاف المنصوص والمراد)[4] .

---

(1) ينظر : الرحلة العياشية ، 45/1 .

(2) شرح الزرقاني على المواهب ، 46/1 .

(3) ينظر : الرحلة العياشية ، 45/1 .

(4) ينظر : حاشية الإمام أحمد رضا على شرح الزرقاني .

أقول : ويمكن الجواب بأن المراد أنه تعالى كساه شعاعا أكثر مما كان ، ثم فصل من شعاعه شيئا وقسمه كما تأخذه الملائكة شيئا من الأشعة المحيطة بالكواكب فترمي به مسترقي السمع ، ويقال بذلك أن النجوم لها رجوم ولكن منح المولى تعالى من ذلك التقرير المنير ما أغنى عن كل تكلف ، ولله الحمد . وقد كان منح للعبد الضعيف ، ثم رأيت في شرح العشماوي – جزاه الله تعالى عني وعن المسلمين خيرا كثيرا – آمين .

ثانيا : أقول إنه قد اندفعت هذه الشبهة أيضا بأن في الخلق كفارا ومشركين ، وهم ظلمات محضة ونجس بعينهم ، فكيف خلقوا من نور المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم - وهو نظيف ؟ وقد تبين وجه الإندفاع بقولنا إن كل شيئ الذي لبس لباس الوجود له قدر من تجليات الشمس وإن لم يكن له نصيب من النور ، بل يكون مجرد الظهور ، كما تقدم ، وأشعة الشمس تقع في كل مكان نظيف ونجس ، ونجاسة المكان تكون في نفسها ولا أثر لها في تنجيس أشعة الشمس .

ثالثا : أقول : قد اتضح أيضا أنه كما في مرتبة الوجود ذات الله وحده ، والبقية تجليات وجوده ، كذلك في مرتبة الإيجاد ذات المصطفى – صلى الله تعالى عليه وسلم - وحده ، والبقية كلها عكس لفيضان وجوده ، فالنور الأحدي في مرتبة الكون شمس ، والعالم كله مرآة لها ، والنور الأحمدي شمس في مرتبة التكوين والعالم كله مرآة لها ، وفي هذا أقول :

خالق كل الورى * ربك لا غيره
ونورك كل الورى * غيرك لم ليس لن [1]

أي : أم لم يوجد ، وليس موجودا ، ولن يوجد أبدا .

رابعا : أقول : إن تمثيل النور الأحمدي بالشمس فضلا عن النور الأحدي أحسن وأكمل من التمثيل بالسراج ، لأنه وإن كان من الإمكان إشعال آلاف من الأسرجة من سراج واحد بدون أن ينفصل شيئ من السراج الأول وينضم بالسراج الآخر إلا أن القناديل الأخرى محتاجة إلى القنديل الأول في حصول النور فقط ، أما في البقاء فهي في غناء عنه ، حيث لو يطفأ السراج الأول بعد الإشعال لا ينقص من ضوءها شيئ ، وكذلك لا تستمد

(1) ينظر البيتان في : الديوان العربي الموسوم بـ "بساتين الغفران" للمؤلف ، ص : 224 .

هذه الأسرجة شيئا من السراج الأول ، ومع هذا لا يتبين أي فرق بعد كسب النور بين السراج الأول والأسرجة الأخرى ، بل تبدو متحدة بخلاف النور المحمدي فإن العالم كما كان محتاجا إليه في الوجود الأول كذلك ما زال محتاجا إليه في البقاء ، حيث إطفاؤه اليوم يؤدي إلى الفناء المحض ، أقول :

(لما لم يكن ما كان شيئ ، ولولاه لا يوجد شيئ ، هو روح العالم ، وإذا وجد الروح ، وجد العالم) .

وعلاوة على ذلك كما استفاد به العالم كله في وجوده الأول وكذلك بعد الوجود أيضا ما زال يستمد به ولهذا لا يساويه شيئ في العالم .

وهذه الأمور الثلاثة تتجلى بمثال الشمس حيث إن المرايا التي يتجلى فيها نور الشمس لا تزال تستمد بنور الشمس ما زالت مستنيرة ، وإذا انقطعت علاقتها بالشمس تعتورها الظلمات فورا ، ثم مهما لمعت لا تبلغ مبلغ الشمس ، وهذه هي حال كل ذرة من العرش والفرش وما فيهما ، والدنيا والآخرة وما فيهما ، والإنس والجن والملك والقمر وكل الأنوار الظاهرة والباطنة ، وحتى شموس الرسالة - عليهم الصلاة والسلام – مع شمس عالمنا اللمعان من الملك الوهاب – عليه والصلاة والسلام – حيث إن جميع هذه الأشياء محتاجة إليه في الإيجاد والإمداد والإبتداء والبقاء ، وفي كل حال ، وفي كل آن – ولله الحمد .

يقول الإمام الأجل محمد البوصيري [(1)] – قدس سره – في "أم القرى" :

---

(1) الإمام البوصيري : هو محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري ، شرف الدين ، أبو عبد الله : شاعر ، حسن الديباجة ، مليح المعاني ، نسبته إلى بوصير (من أعمال بني سويف ، بمصر) أمه منها . وأصله من المغرب من قلعة حماد من قبيل يعرفون ببني حبنون . ومولده في بهشيم من أعمال البهنساوية سنة 608هـ . ووفاته بالإسكندرية سنة 696هـ . له " ديوان شعر " وأشهر شعره البردة ، ومطلعها : " أمن تذكر جيران بذي سلم " شرحها وعارضها كثيرون . ومن قصائده الحلوة " الهمزية " ومطلعها : " كيف ترقى رقيك الأنبياء " وعارض " بانت سعاد " بقصيدة ، مطلعها : " إلى متى أنت باللذات مشغول " . (ينظر : الأعلام للزركلي : 6/139) .

كيف ترقى رقيك الأنبياء * يا سماء ما طاولتها سماء

لم يساووك في علاك وقد حا * ل سنا منك دونهم وسناء

إنما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

(1)

وهذه هي نفس التشبيهات التي ذكرناها حيث هناك ذكر ذاته الكريمة وإفاضة أنواره فجاء التشبيه بالشمس وهنا ذكر صفاته الكريمة ولهذا ناسبه التشبيه بالنجوم .

في " مطالع المسرات " الشريفة : (اسمه - صلى الله تعالى عليه وسلم - محي ... ولحياة جميع الكون به - صلى الله تعالى عليه وسلم - فهو روحه وحياته وسبب وجوده وبقائه)(2) وفيه : (هو - صلى الله تعالى عليه وسلم - روح الأكوان وحياتها وسر وجودها ، ولولاه لم يكن لها نور ولا دلالة ، بل لذهبت وتلاشت ولم يكن لها وجود ، كما قال سيدي عبد السلام - رضي الله تعالى عنه - ونفعنا به : لا شيئ إلا وهو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط) (3)

وقال في "الهمزية" الشريفة :

كل فضل في العالمين فمن فضـ * ـل النبي استعارة الفضلاء(4)

ويقول الإمام ابن حجر المكي في أفضل القرى : (لأنه الممد لهم إذ هو الوارث للحضرة الإلهية والمستمد منها بلا واسطة دون غيره فإنه لا يستمد منها إلا بواسطته فلا يصل لكامل منها شيئ إلا وهو من بعض مدده وعلى يديه) .

---

(1) تنظر : القصيدة الهمزية في مدح خير البرية للإمام الشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري (ت : 696هـ) طباعة مصر (1357م) ، ص : 2 .

(2) مطالع المسرات ، ص : 94 .

(3) مطالع المسرات ، ص :253 .

(4) تنظر : القصيدة الهمزية للإمام البوصيري ، ص : 26 .

وفي شرح سيدي العشماوي : (نعمتان ما خلا موجود عنهما ، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ، وهو - صلى الله تعالى عليه وسلم - الواسطة فيهما ، إذ لولا سبقة وجوده ما وجد موجود ، ولولا وجود نوره في ضمائر الكون لهدمت دعائم الوجود ، فهو الذي وجد أولا ، وله تبع الوجود وصار مرتبطا به ، لا استغناء له عنه) .

وفي هذه المضامين الجميلة هنالك نصوص جليلة للأئمة والعلماء بكثرة في رسالة الفقير " سلطنة المصطفى في ملكوت كل الورى " ولله الحمد .

خامسا : لقد اتضح أيضا بتقريرنا أن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - هو نور ، فالإضافة في الحديث المذكور : (نور نبيك) بيانية ، كما في : (نوره) ، وقال سيد العالم - صلى الله تعالى عليه وسلم - على سبيل تحديث النعمة الإلهية : (واجعلني نورا) [1] ورب العزة عز جلاله نفسه يصفه في القرآن العظيم بالنور : ﴿ ⇧⑨•♘ ⫴ ⌼ ☖ ✐↗◆▤→☠✌)(✆✆✆ ✁✎✐★ ☼←☐❻⌦ ☐◆▤✍✆♦⌚▣⌀ ✌⑩⌨✆✓▫✆ ﴾ [المائدة : 15] فما الشك في كونه - صلى الله تعالى عليه وسلم نورا !

أقول : لو لم تجعل الإضافة في " نور نبيك " بيانية ، بل أردت بالنور ذلك المعنى المعروف ، يعني : الضوء الذي هو عرض وكيفية للزم أن لا يكون النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أول المخلوقات ، بل يكون عرضا وصفة ، ثم كيف يمكن وجود الصفة قبل الموصوف ؟ فلا جرم أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - هو ذلك النور الذي خلق قبل كل شيئ ، فلا حاجة إلى ما قال العلامة الزرقاني- رحمه الله تعالى- من أنه (لا يشكل بأن النور عرض لا يقوم بذاته ، لأن هذا من خرق العوائد) [2] .

---

(1) هذه قطعة من الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - : (اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا ... واجعلني نورا) . صحيح مسلم 261/1 ، وينظر : فيض القدير للمناوي ، 115/2 .

(2) شرح الزرقاني على المواهب ، 46/1 .

ورأيتني كتبت يليه : لِمَ لا يقال فيه كما ستقولون في قرينه من نوره إن الإضافة بيانية .

أقول : خرق العوائد لا كلام فيه ، والقدرة متسعة ولكن وجود الصفة بدون الموصوف مما لا يعقل لأنها إن قامت بغيره لم تكن صفة له ، بل لغيره ، أو بنفسها لم تكن صفة أصلا ، إذ لا صفة إلا المعنى القائم بغيره ، فإذا قام بنفسه لم يكن صفة وعرضا ، بل جوهرا ، وكونه عرضا مع قيامه بنفسه جمع للضدين : القدرة المتعالية عن التعلق بالمحالات العقلية ، ووزن الأعمال بمعنى وزن الصحف والبطاقات ، كما في حديث أحمد ، والترمذي ، وابن ماجة [1] وابن حبان[2] والحاكم [3] ، وصححه ابن مردوية[4]

---

(1) ابن ماجه : هو الحافظ الكبير المفسر أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة الربعي صاحب السنن والتفسير والتاريخ ومحدث تلك الديار ، ولد سنة 209 هـ . وسمع محمد بن عبد الله بن نمير وغيره ، وعنه محمد بن عيسى الأبهري ، قال أبو يعلى الخليلي : ابن ماجه ثقة كبير متفق عليه محتج به ، له معرفة وحفظ ارتحل إلى العراق ، ومكة ، والشام ، ومصر . توفي سنة 273هـ - رحمه الله تعالى . (ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي،155/2) .

(2) ابن حبان : هو الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي صاحب التصانيف ، صنف المسند ، والصحيح ، والتاريخ ، وكتاب الضعفاء ، وفقه الناس بسمرقند. كان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار ، عالما بالطب والنجوم وفنون العلم . قال الحاكم : كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال . توفي سنة (354هـ) (ينظر : تذكرة الحفاظ 89/3-90) .

(3) أبو عبد الله الحاكم : هو الحافظ الكبير إمام المحدثين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري ، يعرف بابن البيع صاحب " المستدرك " و" التاريخ " وغير ذلك . كان إمام عصره في الحديث العارف به حق معرفته ، صالحا ثقة ، توفي سنة 405هـ . (ينظر : البداية والنهاية 465/11 ، وتذكرة الحفاظ ، 162/3) .

(4) ابن مردوية : الحافظ الثبت العلامة , أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني , صاحب التفسير والتاريخ وغير ذلك . كان قيمًا بمعرفة هذا الشأن , بصيرًا بالرجال , طويل الباع ,

واللالكائي [1] والبيهقي في البعث عن عبد الله بن عمرو بن عاص [2] رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم : (إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا ، كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئا ؟ ظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذر ، فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى ، إن لك عندنا حسنة ، فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله" . فيقول : احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : إنك لا تظلم . قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة

مليح التصانيف . ولد سنة ثلاث وعشرين وثلاث مائة ، وتوفي لست بقين من رمضان سنة عشر وأربع مائة ، يقع عواليه في الثقفيات وغيرها . (ينظر : تذكرة الحفاظ للذهبي ، 3 / 169 ، والأعلام للزركلي : 261/1) .

(1) اللالكائي : هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري ، الرازي ، الشافعي ، اللالكائي (أبو القاسم) فقيه ، محدث ، حافظ ، متكلم . قدم بغداد فاستوطنها ، ودرس الفقه الشافعي على أبي حامد الإسفراييني ، وتوفي بالدينور في رمضان كهلا سنة 418هـ . من آثاره : مذهب أهل السنة ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، وكتاب رجال الصحابة . (معجم المؤلفين ، 4 / 54) .

(2) عبد الله بن عمرو بن العاص : هو أبو محمد وأبو عبد الرحمن القرشي السهمي ، أحد من هاجر هو وأبوه قبل الفتح ، وأبوه أسن منه بأحد عشر عاما فقط ، وكان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – يفضله على والده ، وقد كان من أيام النبي – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – صواما قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم ، حمل عن النبي – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – علما كثيرا . توفي بمصر سنة خمس وستين ليالي حصار الفسطاط ، فلما توفي لم يقدروا أن يخرجوا بجنازته لمكان الحرب بين مروان بن الحكم ، وعسكر ابن الزبير ، فدفن بداره – رضي الله تعالى عنه –. حدّث عنه ابن المسيب ، وعكرمة ، وأبو عبد الرحمن الحبلي ، وجماعة . (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ، 34/1-35 ، والأعلام للزركلي : 111/4) .

في كفة ، فطاشت السجلات ، وثقلت البطاقة ، فلا يثقل مع اسم الله شيئ) [1]
.

وخلاصة الحديث الشريف أن الله تعالى قد خلق ذات محمد - صلى الله تعالى عليه وسلم - المقدس من ذاته الكريم ، يعني أن المتجلى من عين الذات بلا واسطة هو حضرتنا - صلى الله عليه وسلم - وبقية المخلوقات بواسطته - صلى الله تعالى عليه وسلم وعلى آله وصحبه وبارك وكرم .
والله سبحانه وتعالى أعلم .

السؤال الخامس :

[هذا السوال استفتى به الحكيم أظهر علي ، من كلكتا في 20 ذي القعدة 1319هـ قائلا] :

إلى حضرة الشيخ مولانا – مد ظله العالي –

إليكم هذه النشرة إن كانت صحيحة فلتصدقوها وإلا نرجو من فضيلتكم الإجابة المفصلة ؟

والسلام .

أظهر علي " عفي عنه ")

وإليكم نص " **النشرة** " :

رب زدني علما . ليس نور رسول - صلى الله تعالى عليه وسلم - نورا ذاتيا لله تعالى ، أي : أنه ليس جزء من ذاته أو قطعة من عين ذاته ، بل هو نور مخلوق ، كما قال النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم : (و أول ما خلق الله نوري ، و أول ما خلق الله القلم ، و أول ما خلق الله العقل) . كذا في تاريخ الخميس [2] وفي سر الأسرار [3] .

---

(1) رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب : (ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله) 25/5 ، وقال الترمذي : أنه حديث حسن غريب .

(2) تاريخ الخميس للديار بكري ، 17/1 .

(3) ينظر : سر الأسرار للشيخ العارف بالله عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) مطبعة " إعجاز " حيدر آباد ، الهند ، ص : 20 – 21 .

والقول بالنور الذاتي يستلزم أن يكون نور الرسول الكريم - عليه التحية والتسليم - جزء من ذات الله تعالى أو عين ذاته أو قطعة منه ، وهذا كلام كفر ، وكذلك يستلزم أن يكون النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - قديما ، لأنه لو أخذ بالمفهوم الاصطلاحي للذاتي ليلزم أن يكون - صلى الله تعالى عليه وسلم - جزءا من الله أو عينه أو قطعة منه . وهذا هو كلام كفر وعقائد بعض الجهال ، ولهذا لا ينبغي القول بأن نور النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - نور ذاتي أو جزء من ذاته ، وإنما ذلك النور هو نور الله أو نور مخلوق أو نور ذات الله أو نور جماله ، كما قال حضرة الغوث الأعظم في كتابه " سر الأسرار " : (فلما خلق الله تعالى روح محمد - صلى الله تعالى عليه وسلم – من نور جماله ، كما جاء في الحديث القدسي : (خلقت روح محمد من نور وجهي) وكما قال النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم : (أول ما خلق الله روحي ، وأول ما خلق الله نوري) [1] لأنه لا تلزم إضافة شيئ إلى شيئ أن يكون الشيئ المضاف جزء من المضاف إليه أو عينه لكون التباين شرطا بين المضاف والمضاف إليه ، كما في "بيت الله" ، و"ناقة الله" ، و"نور الله" ، و"روح الله" .

فثبت أن نور رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - نور بخلق الله أو نور ذات الله أو نور جماله ، وليس نورا ذاتيا ، أي : أنه ليس قطعة من ذات الله تعالى أو جزء من عين ذاته .

والله تعالى أعلم بالصواب .

الناشر : عبد المهيمن قاضي منطقة بهو بازار وغيرها – كلكتة (الهند) .

الجواب الخامس :

مما لا شك فيه أن نور رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - قد خلق من النور الذاتي لله سبحانه تعالى أي : من عين ذاته ، كما أثبتناه بتصريحات العلماء الكرام في الفتوى الأولى وهنالك شرحنا معناه .

وحاشا لله ! أن يعتقد مسلم أو يذهب ظنه أن نور الرسالة أو شيئ ما جزء من الذات الإلهي أو عينه ونفسه ، وإنما هذا الاعتقاد كفر وإرتداد البتة

---

(1) سر الأسرار ، ص : 20 – 21 .

، أي : ادعاء الجزئية مطلقا والعينية بمعنى الاتحاد ، أي : هو في مرتبة الفرق إما أن الوجود واحد والموجود واحد في مرتبة الجمع والكل ظلاله وعكوسه في مرتبة الفرق فلا موجود إلا هو في مرتبة الحقيقة الذاتية إذ لا حظ لغيره في حد ذاته من الوجود أصلا جملة واحدة من دونه ثنيا ، فحق واضح لا شك فيه إلا أن القول بأن نور رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - نور ذاتي لا يلزم كونه عين الذات أو جزء الذات ، ولا ينبغي الظن السوء بالمسلمين ، ولا يؤخذ هذا المفهوم في عرف العلماء ولا في عرف العام ولا ترجيح للقول بـ "نور الذات " على القول بـ " النور الذاتي " فيقال هذا يجوز وذلك لا يجوز .

أولا : والمراد بالمفهوم الاصطلاحي للذاتي بأنه عين الذات أو جزء ماهيته يختص باصطلاح إيساغوجي[1] (ISAGOGE) ولا يراد هذا المعنى في عرف العلماء ولا العامة ، ويقال في التعبير العام : أقول لك هذا بعلمي الذاتي ، أي : لم اسمع من أحد ، وبنيت هذا المسجد من مالي الذاتي ، أي : بدون التبرع من الغير . وأئمة أهل السنة الذين يعتقدون بأن الصفات الإلهية ليست عين ذات الله يذهبون إلى أن العلم ، والقدرة والسمع ، والبصر ، والإرادة ، والكلام ، والحياة من صفات الله الذاتية ، في الحديقة الندية : (اعلم بأن الصفات التي هي لا عين الذات ولا غيرها إنما هي الصفات الذاتية)[2] ويقول العلامة السيد الشريف[3] – قدس سره الشريف – في

---

(1) ايساغوجي : كتاب في المنطق يبحث في الكليات الخمسة ، و" إيساغوجي " كلمة يونانية ، تعني : المدخل ، أَلَّفه فرفوريوس الصوري ، الفيلسوف اليوناني (233 – 304 ق. م) . نقله إلى العربية أبو عثمان الدمشقي في القرن التاسع الميلادي ، واختصره أثير الدين المفضل بن عمر الأبهري ، (ت : 666 هـ / 1264م) .

(2) الحديقة الندية لعبد الغني النابلسي ، 254/1 .

(3) العلامة السيد الشريف الجرجاني : هو علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الحسيني ، الحنفي ، ويعرف بالسيد الشريف (أبو الحسن) عالم ، حكيم ، ولد بجرجان سنة 740هـ ، وعاش وتعلم في هراة . وتوفي بشيراز سنة 816هـ . ألف ما يقارب 44 مؤلفا ، منها : حاشية

رسالته "التعريفات" : (الصفات الذاتية : هي ما يوصف الله تعالى بها ، ولا يوصف بضدها نحو القدرة والعزة والعظمة وغيرها) [1] .

ولعلك سمعت مصطلح الوجوب الذاتي والامتناع الذاتي والإمكان الذاتي في كتب الحكمة والكلام والفلسفة وغيرها ، وذلك يعنى أن الذات تقتضي لذاتها الوجود أو العدم ، حيث أولا ليست صفة من هذه الصفات عين الذات لموصوفها ولا جزؤه ، بل هي من المفاهيم الاعتبارية التي لا وجود لها في الخارج كما حقق في محله ، وكذلك ربما سمعت في كتب الأصول أعني علم الكلام وعلم أصول الفقه مسألة الحسن الذاتي والقبح الذاتي للأفعال ومذهب أئمتنا الماتريدية فيها ، حيث يثبت بداهة أن الحسن الذاتي والقبح ليسا عين الفعل ولا جزؤه ، يقول المحقق على الإطلاق في تحرير الأصول : (مما اتفقت فيه الأغراض والعادات واستحق به المدح والذم في نظر العقول جميعا لتعلق مصالح الكل به لا يفيد ، بل هو المراد بالذاتي للقطع بأن مجرد حركة اليد قتلا ظلما ، لا تزيد حقيقتها على حقيقتها عدلا ، فلو كان الذاتي مقتضى الذات اتحد لازمهما حسنا وقبحا ، فإنما يراد (أي بالذات) ما يجزم به العقل لفعل من الصفة بمجرد تعلقه كائنا عن صفة نفس من قام به ، فبإعتبارها يوصف بأنه عدل حسن أو ضده)[2] .

ثانيا : الياء في " الذاتي " للنسبة ، والذاتي منسوب إلى الذات ، وكل إضافة بين المتغايرين تصحح النسبة بأن الشيئ الذي يضاف إلى غيره يكون منسوبا إليه البتة ، لأن الإضافة أيضا نسبة ، فلما صح أن يقال "نور الذات" أيضا يصح أن يقال "النور الذاتي" بالتأكيد وإلا تكون النسبة ممتنعة فلا يجوز أن يقال نور الذات أيضا – هذا خلف .

على شرح التنقيح للتفتازاني في الأصول ، وحاشية على تفسير البيضاوي ، والمصباح في شرح المفتاح ، والتعريفات ، وغيرها . (ينظر : معجم المؤلفين ، 2 / 515) .

(1) التعريفات للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ص : 133 .

(2) تحرير الأصول للمحقق على الإطلاق ، مطبعة مصطفى البابي ، مصر ، المقالة الثانية ، الباب الأول ، الفصل الأول ، ص : 225 – 226 .

ثالثا : يلزم القول بـ " نور الذات " الذي يسلّم بجوازه المانع (الناشر) أيضا أن يكون نور الرسالة عين الذات الإلهي – معاذ الله – وذلك إذا قصدت فيه الإضافة بيانية ، وهي تعني أن ذلك النور عين الذات الإلهي ، فلماذا لم يمنع ذلك ؟ وإذا قلت إن هذا المعنى ليس بمراد ، بل الإضافة لامية على وجه التشريف ،كما في بيت الله وناقة الله وروح الله ، فما الحرج في النور الذاتي على هذا المعنى نفسه ، وهو يعني أن ذلك النور يمتاز بنسبة خاصة إلى الذات الإلهي ، في شرح المواهب للعلامة الزرقاني : (إضافة تشريف وإشعار بأنه خلق عجيب وأن له شأنا ، له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية على حد قوله تعالى : (وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ – السجدة / 9) [1]

رابعا : لو أدى القول بالنور الذاتي إلى الكفر على وجه من الوجوه إذا حمل على الاصطلاح الفني لإيساغوجي الذي لا يريده القائلون به ، بل الأغلب أنهم جاهلون عنه لأدى القول بنور ذات الله أو نور الله إلى المعاني الكفرية على عدة وجوه – معاذ الله – مع أن الرافض نفسه يسلم بجواز القول بنور ذات الله أو نور الله .

وقد ذكرنا في الفتاوى الأخرى أن للنور معنيين :

المعنى الأول : أنه ظاهر بنفسه ، ومظهر لغيره ، وبهذا المعنى لو جعلت الإضافة بيانية ليلزم أن يكون نور الرسالة عين الذات الإلهي وهذا كفر ، ولو جعلتها لامية ليكون المعنى أن ذلك النور ظاهر بنفسه ومظهر للذات الإلهي وهذا أيضا كفر .

المعنى الثاني : أنه كيفية وعرض ، يقال له لمعان ووميض وبريق وضوء وعلى هذا المعنى لو جعلت الإضافة بيانية ليلزم الكفر العرضي علاوة على الكفر العيني بأن الذات الإلهي – معاذ الله – عرض وكيفية ، ولو جعلت الإضافة لامية ليفهم من إضافة النور إلى أحد في الأغلب أن هذه الكيفية عارضة له كنور الشمس ونور القمر ونور السراج . وهكذا يلزم (معاذ الله) أن يقع الله في محل الحوادث وهو مما لا شك فيه أنه ضلالة صريحة تؤدي إلى الكفر اللزومي .

---

(1) شرح الزرقاني على المواهب ، 46/1 .

وبهذه الاعتقادات لو لم يجز القول بـ " النور الذاتي " درجة واحدة فلا يجوز القول بـ " نور الذات " أو " نور الله " أربع درجات مع أن المانع يعترف بجوازه ، وعلاوة على ذلك قد ورد " نور الله " في القرآن الكريم :

[illegible] [الصف : 8]

[illegible] [التوبة : 32] وفي الحديث : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[1]

خامسا : إذا كانت المغايرة شرطا في المضاف والمضاف إليه أفليست هي شرطا في المنسوب والمنسوب إليه ؟!

سادسا : بل يلزم على ما اختاره المانع أن لا يكون النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - أول الخلق ويتعين أن الشيئين قد خلقا قبله ، وهذا خلاف ما روي في الحديث وما ورد في نصوص الأئمة القدامى ، فقد جاء في الحديث : (يا جابر ! إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره) .

وفي الحديث إضافتان : نور النبي ، ونور الله . والمغايرة شرط للإضافة عند الناشر ، وبهذا يكون نور النبي غير النبي ، ونور الله غير الله ، وكل ما هو غير الله مخلوق ، فلزم أن يكون نور الله مخلوقا ، وبنور الله خلق نور النبي . وبهذا أصبح لازما أن يكون نور الله مخلوقا قبل نور النبي ، وقد خلق نور النبي قبل بقية الأشياء ، والأشياء تشمل النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - فلزم أن يكون نور النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم -

---

(1) رواه الترمذي في سننه عن أبي سعيد الخدري – رضي الله تعالى عنه - 298/5 . وينظر : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للإمام شمس الدين بن محمد السخاوي ، ص : 42 .

وقبله نور الله ، وهكذا أصبح الشيئان مخلوقين قبل النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم- وهذا باطل محض .

سابعا : والحل لهذه المسألة أن الذاتي يقابل العرضي في اصطلاح ايساغوجي ، وبهذا المعنى يكون الله عز وجل منزها عن النور الذاتي والنور العرضي كليهما ، وإلا أنه ليس المراد هنا ، ولا المفهوم ، وفي المحاورة العامة الذاتي يقابل الصفاتي والأسمائي ، وهذا هو المقصود هنا .
وبهذا المعنى يثبت لله عز وجل – النور الذاتي والنور الصفاتي والأسمائي كله ، لأن الجميع من تجليات ذاته أو صفاته أو أسمائه ، فالنبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - تجلى من ذاته والأنبياء والأولياء وسائر خلق الله من تجليات أسمائه وصفاته ، كما ذكرنا في الفتاوى الأخيرة نقلا عن الشيخ المحقق (رحمه الله تعالى) . والله تعالى أعلم ، وعلمه أجل ، ومجده أتم ، وصلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا محمد وآله وسلم .

تقريظ

[يضاف للإفادة التقريظ الذي كتبه المؤلف الإمام أحمد رضا خان البريلوي – قدس سره – على رسالة في النور المحمدي لمولانا حبيب علي العلوي]

B

اللهم لك الحمد ، فقد طالع الفقير - غفر له المولى القدير - ما كتبه الفاضل العالم العامل ، حامي السنة ، ماحي الفتنة ، مولانا حبيب علي العلوي المحترم – أيده الله تعالى بالنور العلوي – كتابة منيرة ، فجزاه الله عن نبيه المصطفى الجزاء الأوفى .

إن المسألة بحمد الله تعالى واضح ومكشوف ، وفي أوساط المسلمين مشهور ومعروف ، وللفقير فيها ثلاث رسائل :

1. قمر التمام في نفي الظل عن سيد الأنام - عليه وعلى آله الصلاة والسلام.
2. نفي الفيئ عمن استنار بنوره كل شيئ - صلى الله تعالى عليه وسلم .
3. هدى الحيران في نفي الفيئ عن شمس الأكوان - عليه الصلاة والسلام الأتمان الأكملان .

أريد هنا أن أضيف في تأييد ما ذهب إليه الجناب المجيب المصيب - سلمه القريب المجيب - أقوال بعض الأئمة الكرام والعلماء الأعلام ، فقد يقول الإمام الجليل جلال الملة والدين السيوطي[1] رحمه الله تعالى في " الخصائص الكبرى " الشريفة : (باب الآية في أنه – صلى الله تعالى عليه وسلم – لم يكن يرى له ظل : أخرج الحكيم الترمذي عن ذكوان[2] أن رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم – لم يكن يرى له ظل في شمس ولا قمر . قال ابن سبع[3] : من خصائصه – صلى الله تعالى عليه وسلم - أن ظله كان

(1) الإمام جلال الدين السيوطي : هو صاحب التصانيف الكثيرة ، الجامع المحيط ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، إمام ، وحافظ ، ومؤرخ ، ومحدث ، ولغوي ، وأديب... نشأ في القاهرة يتيما بعد وفاة أبيه وعمره خمس سنوات ، كان ورعا زاهدا ، ولما بلغ 40 سنة من عمره تصوف واعتزل الناس ، وخلا بنفسه في روضة المقياس على النيل منزويا عن أصحابه جميعا ، كأنه لا يعرف أحدا منهم ، فألف أكثر كتبه ، وكان الأغنياء والأمراء يزورونه ويعرضون عليه الأموال والهدايا فيردها ، اشتغل بالتأليف فألف نحو (600) مصنف بين كتاب كبير ورسالة صغيرة . توفي سنة (911هـ) (ينظر : الأعلام للزركلي : 301/3 ، ومعجم المؤلفين : 6792/82/2).

(2) هو ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني ، وستاتي ترجمته .

(3) لعله يسار بن سبع ، أبو الغادية الجهني ، وقيل : المزني ، قال العقيلي : وهو أصح . وهو مشهور بكنيته ، وقيل : اسمه يسار بن أزيهر ، أو أزهر ، وقيل : اسمه مسلم ، سكن الشام ،

لا يقع على الأرض ، وأنه كان نورا فكان إذ مشى في الشمس أو القمر لا ينظر له ظل ، قال بعضهم ويشهد له حديث ، قوله - صلى الله تعالى عليه وسلم - في دعائه : واجعلني نورا) (1)

ويقول أيضا في الأنموذج اللبيب في خصائص الحبيب "الخصائص الكبرى" صلى الله تعالى عليه وسلم : (لم يقع ظله - صلى الله تعالى عليه وسلم - ولا رئي له ظل في شمس ولا قمر . قال ابن سبع : لأنه كان نورا ، وقال رزين (2) : لغلبة أنواره) .

ويعلق ابن حجر المكي - رحمه الله تعالى - في " أفضل القرى لقراء أم القرى " على قول صاحب المتن - رضي الله تعالى عنه :

لم يساووك في علاك وقد حا * ل سنا منك دونهم وسناء (3)

حيث يقول : (هذا مقتبس من تسميته تعالى لنبيه نورا في نحو : ﴿ ⌂♦⑨⇧ ⌶◰⍾✐↗◆▤→☠✋⌘⚯⛶☞⚒ ✂✍✐★☼←❑❻⌧ ❒◆▤⚐✋♦◷▤⚏✋❿⌨⚠✓▫⚏ ﴾ [المائدة : 15] وكان - صلى الله تعالى عليه وسلم - يكثر الدعاء ، بأن الله يجعل كلا من حواسه وأعضائه وبدنه نورا إظهارا لوقوع ذلك ، وتفضل الله تعالى عليه به ليزداد شكره

ونزل في واسط ، أدرك زمن النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - وهو غلام ، وروى عنه ، ويقال أنه قتل عمار بن ياسر - رضي الله تعالى عنهما - ، والله تعالى أعلم . (ينظر : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تاليف : عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الطبعة الثانية : 2003 م / 1424 هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 5 / 480) .

(1) كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، المعروف بـ " الخصائص الكبرى " للسيوطي ، 68/1 .

(2) العلامة رزين : هو رزين بن معاوية بن عمار العبدري السرقسطي الأندلسي ، أبو الحسن : إمام الحرمين . نسبته إلى سرقسطة من بلاد الأندلس . جاور بمكة زمنا طويلا ، وتوفي بها سنة 535هـ . له تصانيف ، منها : التجريد للصحاح الستة . (الأعلام للزركلي ، 3 / 20) .

(3) ينظر : البيت في القصيدة الهمزية للإمام البوصيري ، ص : 2 . وقد ورد في الأصل " لم يعلوك " والأصح ما أثبتناه أو " لم يدانوك " .

وشكر أمته على ذلك ، كما أمرنا بالدعاء الذي في آخر سورة البقرة مع وقوعه ، وتفضل الله تعالى به لذلك ومما يؤيد أنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - صار نورا أنه كان إذا مشى في الشمس أو القمر لم يظهر له ظل ، لأنه لا يظهر إلا لكثيف وهو - صلى الله تعالى عليه وسلم - قد خلصه الله تعالى من سائر الكثائف الجسمانية وصيَّرَه نورا صرفا لا يظهر له ظل أصلا) [1] .

ويقول العلامة سليمان جمل [2] في شرح الهمزية : (لم يكن له - صلى الله تعالى عليه وسلم - ظل يظهر في شمس ولا قمر) [3] .

ويكتب العلامة حسين بن محمد الدياربكري في كتاب " الخميس في أحوال أنفس النفيس " : (لم يقع ظله – صلى الله تعالى عليه وسلم – على الأرض ، ولا رئي له ظل في شمس ولا قمر) [4] .

وهكذا بعينه في "نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي الأطهار" [5] .

ويقول العلامة سيدي الزرقاني في "شرح المواهب" : (لم يكن له - صلى الله تعالى عليه سلم - ظل في شمس ولا قمر ، لأنه كان نورا ، كما

---

(1) أفضل القرى لقراء أم القرى ، (شرح أم القرى) ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ص : 128 و129.

(2) العلامة سليمان جمل : هو سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري الشافعي ، (ت:1204هـ) ، له حاشية مشهورة على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ، سماها فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب ، وله أيضا : الحاشية المشهورة على تفسير الجلالين المسماة : الفتوحات الإلهية ، وشرح همزية البوصيري بشرح سماه : الفتوحات الأحمدية على الهمزية ، وله تقرير في الفقه ، وقد طبع الجميع .

(3) ينظر : الفتوحات الأحمدية على متن الهمزية للعلامة سليمان جمل ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ص : 5 .

(4) تاريخ الخميس ، 219/1 .

(5) نور الأبصار في مناقب بيت النبي المختار (صلى الله تعالى عليه وسلم) تأليف : الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص : 22 .

قال ابن سبع ، وقال رزين : لغلبة أنواره . وقيل حكمة ذلك صيانته عن أن يطأ كافر ظله . رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان أبي الصالح السمان الزيات المدني [1] أو أبي عمرو المدني[2] مولى عائشة [3] - رضي الله

---

(1) ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني : هو ذكوان أبو صالح السمان الزيات المدني ، مولى جويرية بنت الأحمس الغطفاني ، كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة ، شهد الدار زمن عثمان ، وسأل سعد بن أبي وقاص مسألة في الزكاة ، وروى عنه وعن أبي هريرة وأبي الدرداء ، وأبي سعيد الخدري ، وعقيل بن أبي طالب ، وعائشة ، وأم حبيبة ، وأم سلمة ، وغيرهم ، وعنه : أولاده سهيل ، وصالح ، وعبد الله ، وعطاء بن أبي رباح ، وعبد الله بن دينار ، وغيرهم .- رضي الله تعالى عنهم . وثقه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وأبو زرعة . وزاد أبو زرعة : مستقيم الحديث . وزاد أبو حاتم : صالح الحديث يحتج بحديثه . وقال الحربي : كان من الثقات . وقال العجلي : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات . قال الواقدي ، و يحيى بن بكير و غير واحد : مات سنة إحدى ومئة . وزاد الواقدي : بالمدينة . (ينظر : تهذيب التهذيب في رجال الحديث ، تأليف : الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت : 852 هـ) تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . الطبعة الأولى : 1425 هـ / 2004م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2 / 383 – 384) .

(2) أبو عمرو المدني : اسمه ذكوان ، وهو مولى سيدتنا عائشة الصديقة – رضي الله تعالى عنها – روى عنها . وعنه : عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وهو أكبر منه ، وابن أبي مليكة ، وعلي بن الحسين محمد بن عمرو بن عطاء ، وغيرهم ، كان يؤم قريشا ، لأنه كان أقرأهم للقرآن الكريم ، قالت سيدتنا عائشة : إذا واريتني فأنت حر . وله أحاديث قليلة ، قال أبو زرعة : ثقة . وذكره ابن حبان في الثقات ، قال الهيثم بن عدي : أحسبه قتل بالحرة سنة 63هـ . (تهذيب التهذيب ، 2 / 384 – 385) .

(3) سيدتنا عائشة الصديقة – رضي الله تعالى عنها : هي من أكبر فقهاء الصحابة . فقد كان فقهاء أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم- يرجعون إليها . وتفقه بها جماعة . بنى بها النبي – صلى الله تعالى عليه وآله وسلم – في شوال بعد وقعة بدر فأقامت في صحبته

تعالى عنها - وكل منهما ثقة من التابعين . فهو مرسل، ولكن روى ابن المبارك [1] ، وابن الجوزي عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنه – : (لم يكن للنبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – ظل ، ولم يقم مع الشمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ، ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوءه ضوء السراج) [2] .

ويكتب الفاضل محمد بن الصبان [3] في "إسعاف الراغبين" في ذكر خصائص النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم : (وإنه لا فيئ له) [1] .

ثمانية أعوام وخمسة أشهر ، فكانت أحب نسائه إليه . وكانت غزيرة العلم بحيث إن عروة يقول : ما رأيت أحدا أعلم بالطب منها ، وقال علي بن مسهر : أخبرنا هشام عن أبيه قال : ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة – رضي الله تعالى عنها . توفيت في سنة سبع وخمسين ، وقيل في سنة ثمان وخمسين . (ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، 1/25-26) .

(1) ابن المبارك : هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء ، التميمي ، المروزي أبو عبد الرحمن : الحافظ ، شيخ الإسلام ، المجاهد التاجر ، صاحب التصانيف والرحلات . أفنى عمره في الأسفار ، حاجا ومجاهدا وتاجرا . وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء . كان من سكان خراسان ، ومات بـ " هيت " (على الفرات) منصرفا من غزو الروم سنة : 118-181هـ / 736 – 797م . له كتاب في " الجهاد " وهو أول من صنف فيه ، و" الرقائق " في مجلد . (الأعلام للزركلي ،4/115) .

2(2) شرح الزرقاني على المواهب ، 4 / 220 .

(3) محمد بن الصبان : هو أبو العرفان محمد بن علي الصبان المصري ، من كبار العلماء المصريين في القرن الثالث عشر الهجري ، ولد بمصر ، وحفظ القرآن في صغره ، تلقى علومه على كبار العلماء في عصره من أمثال الشيخ الملوي ، والشيخ حسن المدابغي ، والشيخ السيد البليدي ، والشيخ عبد الله الشبراوي . نقل الجبرتي المؤرخ الشهير على لسان الشيخ الصبان أنه قال : (وتلقيت طرق القوم وتلقين الذكر على منهج السادة الشاذلية على الأستاذ عبد الوهاب العفيفي المرزوقي ، وقد لازمته المدة الطويلة ، وانتفعت بمدده ظاهرا وباطنا) . توفي الشيخ

ويقول مولوي معنوي[2] – قدس سره الشريف - :

جـون فنـاش از فقـر بيرايـة شـود * أو محمـد وار بـي سـاية شود[1]

الصبان بالقاهرة عام 1206 هجريا . من أعماله : إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ، وله حاشية على شرح الأشموني على ألفية بـن مالـك ، ومنظومـة في مصطلح علم الحديث ، وحاشية على السلم للملوي ، وغيرها . (ينظر : الأعلام للزركلي ، 6 / 297) .

(1) إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ، ص : 37 .

(2) هو المفكر الإسلامي الكبير ، الداعي إلى الحب والعاطفة الإيمانية الصادقة ، المعروف بـ " مولانا الروم" ، اسمه محمد ، وكذلك اسم أبيه وجده أيضا محمد ، وجلال الدين لقبه ، ولد في بلـخ سنة 604 هـ في أسرة العلم والتقوى ، تلقى العلوم الابتدائية على الشيخ بهاء الدين ، وبعد وفاة في أبيه سافر إلى حلب سنة 629 هـ حيث تلمذ على الشيخ كمال الدين مـصنف " تاريخ الحلبي " . كان من أكابر علماء الفقه والمذاهب في عصره . اشتغل بالإفتاء والتـدريس مدة من الزمن ، ثم التقى برجل متصوف الشيخ شمس تبريز الذي وصل به إلى مدارج عالية من التصوف بصفاء القلب ، ومجاهدة النفس ، وقوة الإيمان . وهي التي انعكست آثارها بأشكال أبيات فارسية رائعة خلدت ذكرى مولانا الروم إلى الأبد ، ومجموعة أبياته هذه معروفـة بـ " المثنوي " . وهو ديوانه الشعري الذي قدم منها الإمام المؤلف البيت المذكور في النص . ويطلق " المثنوي " على ضرب من الشعر تتردد فيه القافية في الشطرين من البيت . وهذا المثنوي لمولانا الروم قد يقال " المثنوي المعنوي " أيضا ، وذلك لأنه يحتوي على عالم المعنى وأحوال الباطن . وتلك هي أحوال وصل إليها جلال الدين الرومي بصحبة شيخه شمس تبريز ، قلما يصل إليها صاحب حال . توفي الشيخ الرومي في 5 من جمادى الثاني سنة 672 هـ بـ " قونيـة " . أفاض الله تعالى علينا بركاته . (تنظر ترجمته في : مقدمة ديوانه " مثنوي مولوي معنـوي " ترجمه إلى الأردية : القاضي سجاد حسين ، نشره : سب رنك كتاب كهر ، دهلي ، 1976 م ، ص : 2 – 29 . ورجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي الحسن علي الندوي ، دار القلم ، كويت . 1977 م ، ص : 358 – 370) .

(حينما يتزين فناؤه بالفقر ، يصبح كمحمد – عليه الصلاة والسلام - بلا ظل) .

ويقول ملك العلماء بحر العلوم مولانا عبد العلي[2] قدس سره شارحا هذا البيت : (في المصرع الثاني إشارة إلى معجزة سيد الكون - صلى الله تعالى عليه وسلم - بأنه لم يقع له ظل على الأرض) .

هنا ينكر الوهابية هذه المسألة المسلّمة ، وإسماعيل الدهلوي[3] وأتباعه الذين يدعون إتباع المجدد [4] والحق أن حضرة الشيخ المجدد يقول

---

(1) ينظر : المثنوي المعنوي ، نوراني كتب خانه بشاور ، ص : 19 .

(2) عبد العلي : هو محمد بن محمد اللكنوي الهندي ، بحر العلوم (عبد العلي ، أبو العياش) فقيه ، أصولي ، حكيم ، منطقي . كانت وفاته سنة 1225 هـ . من آثاره : حاشية على شرح رسالة التصور والتصديق للقطب ، وحاشية على شرح الصدر للشيرازي لهداية الحكمة ، وشرح منار الأنوار لحافظ الدين النفي ، سماه تنوير المنار ، وشرح سلم العلوم في المنطق ، وفواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت ، في أصول الفقه . (ينظر : معجم المؤلفين ، 3 / 669) .

(3) إسماعيل الدهلوي : هو رئيس الوهابية في الهند ، ومجددها ، إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي ، ولد في دلهي في 12/ ربيع الثاني 1193هـ في أسرة عزيزة معروفة بالعلم . وبالأخص في العلم الحديث ، درس على الشاه عبد العزيز ، ولكنه إنحرف عن المذهب الحق فيما بعد ، واتخذ طريقا آخر . ، ترجم أفكار محمد بن عبد الوهاب النجدي في كتاب سماه " تقوية الإيمان " وبه فرّق المسلمين في هذه الديار ، وحال بينهم وبين تاريخهم القائم على المحبة والأدب ، وقام بإحيا حركة التكفير ، حتى لم ينج منه أبوه ، ولا عمه ، ولا جده ، بل خالف جميع أسلافه ، قتل في بالاكوت في 24 ذي قعدة سنة 1246هـ . (ينظر ترجمته في مقدمة كتابه " تقوية الإيمان " ، ص : 5 – 8).

(4) يقصد به " مجدد الألف الثاني " وهو الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الأحد بن الشيخ زين العابدين ، من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه – وهو من كبار العلماء في شبه القارة الهندية ، ولد في سنة 971هـ المصادف 1564م في مدينة "سرهند" من ولاية بنجاب الشرقية ، حفظ القرآن الكريم ، ثم تلقى العلوم العقلية والنقلية من أبيه الشيخ عبد الأحد ، كما

في المجلد الثالث من مكتوباته (المكتوب 100) : (لم يكن له - صلى الله تعالى عليه وسلم - ظل ، وفي عالم الشهادة ظل كل شخص ألطف من شخص ، ولما لم يكن ألطف منه - صلى الله تعالى عليه وسلم - فكيف يتصور له ظل – عليه وعلى آله الصلوات والتسلمات) [1] .

وقال في (المكتوب 122) : (كيف يمكن أن يكون ظلا لواجبه تعالى ، والظل يوهم توليد المثل وينبئ شائبة عدم كمال لطافته ، ولما لم يكن له - صلى الله تعالى عليه وسلم – ظل للطافته ، فكيف يكون ظلا لرب محمد جل وعلى وصلى الله تعالى عليه وسلم!) [2] .

أقول : جاء في مطالع المسرات الشريفة عن إمام أهل السنة سيدنا الإمام أبي الحسن الأشعري[3] رحمه الله تعالى : (أنه تعالى نور ليس

أحد العلوم الإسلامية من العلماء المتخصصين في عصره ، وخدم الإسلام والمسلمين ، وقدم إلى الأمة الإسلامية مؤلفات قيمة ، فمن آثاره : ملفوظاته القيمة التي تضم في دفتيه علوما ومعارف ، وسلوكا وإرشادات قيمة . والخدمة المثالية التي قام بها الشيخ ، وهو أنه لما انتشر الفكر الإلحادي على يد الملك المغولي محمد أكبر ، فتصدى له ، وقام بالجهاد الأكبر ، فدحض الأفكار الإلحادية ، وأرشد المسلمين العود إلى الطريق الإسلامي القويم المتوازن ، وفند النظريات اللادينية بتوجيهاته الرشيدة وجهوده الجبارة ، ولم يزل يشتغل طوال حياته في خدمة الدين الحنيف بالدعوة والإرشاد وبالتصنيف والتأليف ، حتى توفي سنة 1034هـ من 29/ صفر المظفر . (ينظر : مجدد الألف الثاني للدكتور محمد مسعود ، م : إ سلامك بيلشر، دلهي ، الهند ، 1423هـ - 2003م) .

(1) ينظر : مكتوبات الإمام الرباني حضرة المجدد الألف الثاني الشيخ أحمد السرهندي ، ترجمة : مولانا محمد سعيد أحمد النقشبندي ، مطبوعة رضا أكادمي ، ممبي سنة 1427هـ / 2006م، 3 / 93.

(2) ينظر : المصدر نفسه ، 3 / 155 .

(3) الإمام أبو الحسن الأشعري : هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن عامر ابن أبي موسى الأشعري ، اليماني ، البصري (أبو الحسن) . هو إمام أهل السنة والجماعة ، متكلم ، نظار ، له مؤلفات قيمة في الدفاع عن عقيدة أهل السنة ،

كالأنوار ، والروح النبوية القدسية لمعة من نوره والملائكة شرر تلك الأنوار) [1] ثم أيده بحديث بأن رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - قال : (أول ما خلق الله نوري ومن نوري خلق كل شيئ) .

ولما كانت الملائكة بلا ظل التي خلقت بواسطة النور المحمدي - صلى الله تعالى عليه وسلم - فكيف لا يكون النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم – مُنزّهاً من الظل وهو أصل النور ! ومن العجب أن تكون الملائكة بلا ظل ، وهم خلقوا من نور المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم - ويكون المصطفى - صلى الله تعالى عليه وسلم - صاحب ظل وقد خلق من نور الله ؟ !

جاء في الحديث أنه لا يوجد في السماء مكان أربعة أصابع لا يضع فيه ملك جبينه في السجدة فلو كان للملائكة ظل لما وصل إلينا ضوء الشمس أو لعله يصل فكأنه أضواء خافتة تتصفى من داخل الأشجار الغناء في ظلال النور . وإنه لا يوجد الظل للنار فضلا عن الملائكة التي هي ألطف الخلائق ، بل لا ظل للهواء ، ولا ظل لهواء عالم النسيم الذي هو أكثر كثافة من هواء السطح الأعلى وإلا لفم يكن الضوء أبدا ، بل هنالك في الهواء ذرات بالآلاف وبمئات الآلاف وأنواع من الحيوانات التي قد ترى بالمجهر وبعضها بدونه ، هذا ، والشمس تصل إلى بيت مغلق نافذة من الشباك حيث لا ظل لكل هذه الأشياء .

كل هذا وذلك يقبلونه ولكنهم بأي قلب يقبلون لطافة جسم محمد رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - الأقدس بأنه لم يكن له ظل ؟ !

دع هذا ! فقد تبرّرُ لصغر حجم هذه الذرات والحيوانات ولكنك ماذا تقول في السماء ؟ في هذا الجسم العظيم الذي يحيط الأرض كلها وفيها قطعة مثل الذرة أكبر من كرة الأرض ثلاث مائة وست وعشرين مرة ،

ولد بالبصرة سنة 270هـ ، وسكن بغداد ، ورد على الملحدة ، والمعتزلة ، والشيعة ، والجهمية ، والخوارج ، وغيرهم . وتوفي ببغداد سنة 330هـ . من تصانيفه الكثيرة : الفصول في الرد على الملحدين والخارجين عن الملة ، وخلق الأعمال ، والرد على المجسمة ، وغيرها . (ينظر : معجم المؤلفين ، 2 / 405) .

(1) مطالع المسرات ، ص : 254 .

على الأقل أرينا ظلها ؟ كلا لو كان لها ظل لما حظيت بأن ترى وجه النهار إلى يوم القيامة .

نعم ، نعم هذا هو السقف الأزرق الذي نراه بأعيننا هو السماء الأولى ، وهذا الذي يخبرنا القرآن الكريم عنه ، قال تعالى : ﴿ ⇔☐■🖬♦▫❐🕮 ⟡ ☎✂▥❐↖❷⍝→☾♦③ ❼■🖫♋☽ ♑↗✐♏◻☺○○♑ ♏◻♑⏀☐✡↘⓿♦♈♦♏ ◻✂↘⓿☒ ⇕✋←♑♦♎⬀☐♦▫ ♊♑✌♏☐●○▭♏♦✌♦❐ ♏◻♑⏀☐✡✸③◻♒♦❐ ﴾ [ق : 6] . وقوله : ﴿ ♏◻♑⏀☐✡✸③◻♒♦❐ ✆●❐↖❷→▫ ♐♑♎🖬✡☐⏀→♑❷⌧⇔▫♒ ﴾ [الحجر :16] .

وإن تعترف بسخافة فلاسفة اليونان من أن الذي نراه ليس فلكا ، بل هو عبارة عن كرة بخارية أيضا يحصل مقصدنا بأنه لا يوجد الظل لهذا الجسم العظيم العنصري ، سواء تقول : السماء أو محط البخار ، وأن تقول مرتديا رداء كفر الهيئات الجديدة بأن السماء لا شيئ والذي نراه موهوم محض ، وشيئ مرئي لا حقيقة له ، فهذا شيئ ، ولكنك كيف تنكر السماء وأنت تؤمن بكتاب سماوي ؟ !

وبالتالي لما ثبت بالدليل القاهر أنه ليس من الضروري أن يكون للجسم العنصري ظل فقد ثبت أنك ملبوس بزي موهوم مستبعد خلاف الطبيعة مثل الطبيعيين ، وإلا فما وجه الرفض أو الكلام فيما أثبته الأئمة الكرام من فضيلة النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - طبقة من طبقة ، ولا مانع لها عقلا ونقلا ، ليس هذا إلا مرض القلب لأنه لا ينكر فضائل محمد رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - سوى مريض القلب الذي حرم من نعمة "يشرح صدره للإسلام" فلا يفتح الله صدره للقبول والتسليم ، المسكين يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء ، وقلبه يضيق كأنه قبر كافر ، وكبده المنكر للفضيلة يقفز متقطعا كأنه يمسك السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ، والعياذ بالله رب العالمين ، والله سبحانه تعالى أعلم .

مصادر البحث والتحقيق

- القرآن الكريم .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تاليف : عز الدين ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجوزي ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الطبعة الثانية : 2003 م / 1424 هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت .
- إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين للشيخ محمد الصبان ، المطبوع بهامش نور الأبصار للشبلنجي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- أشعة اللمعات شرح المشكاة ، نقله من الفارسية إلى الأردية : مولانا محمد سعيد أحمد النقشبندي ، نشره : الاعتقاد دار النشر ، دلهي ، أكتوبر ، 1988م.

- الأعلام (قاموس تراجم) لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط / 16 ، 2005 م .
- الإمام أحمد رضا خان وأثره في الفقه الحنفي " للأستاذ مشتاق أحمد شاه بن نادر شاه ، نشره : إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا ، كراتشي ، 1418 هـ 1997م .
- الأنوار المحمدية للشيخ يوسف النبهاني ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، لبنان .
- البداية والنهاية ، تاليف : أبو الفداء الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت : 700 – 774 هـ) تحقيق : براز أبو حيان ، الطبعة الأولى 1996 م ، دار أبي حيان ، القاهرة .
- بساتين الغفران (حدائق بخشش) الديوان المترجم إلى العربية للإمام أحمد رضا خان القادري ،
- تاريخ الخميس للعلامة حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري .
- تذكرة الحفاظ للإمام شمس الديم محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (748 هـ) وضع حواشيه : الشيخ زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998 م/1419 هـ .
- التعريفات ، تأليف : السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني الطبعة الثالثة (1988م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- تهذيب التهذيب في رجال الحديث ، تاليف : الإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت : 852 هـ) تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . الطبعة الأولى : 1425 هـ / 2004م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، الطبعة الأولى (1987م) دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- جد الممتار حاشية الإمام أحمد رضا خان على رد المحتار للشامي حاشية الدر المختار ، الطبعة الثانية (1985م) مطبوعة كراتشي ، باكستان .

- حاشية الطحطاوي على الدر المختار للعلامة طحطاوي ، دار المعرفة ، بيروت.
- الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية للعلامة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي ، مصر (1290هـ) .
- حيات أعلى حضرت (الإمام أحمد رضا) لملك العلماء محمد ظفر الدين البهاري ، اهتم بنشره : رضا أكاديمي ، ممبئي ، 1424 هـ / 2002 م .
- الدولة المكية بالمادة الغيبية للإمام أحمد رضا خان البريلوي ، الطبعة الأولى (2001م) مؤسسة رضا بمدينة لاهور ، باكستان .
- الديوان العربي الموسوم بـ " بساتين الغفران " للإمام أحمد رضا خان البريلوي ، جمعه ورتبه : الأستاذ حازم محمد أحمد عبد الرحيم المحفوظ ، لاهور ، باكستان ، سنة الطباعة (1997م) .
- الرحلة العياشية (ماء الموائد) لأبي سالم عبد الله العياشي (ت 1090هـ) الطبعة الثانية (1977م) دار المغرب بالرباط ، مصورة بالأوفسيط .
- سر الأسرار للشيخ العارف بالله عبد القادر الكيلاني (قدس الله سره) مطبعة " إعجاز " حيدر آباد ، الهند
- سنن أبي داوُد ، تأليف : سليمان بن الأشعث أبي داوُد السجستاني (275هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
- سوانح أعلى حضرت (الإمام أحمد رضا) تأليف : مولانا بدر الدين أحمد القادري ، الطبعة السابعة (1987م) المكتبة النورية الرضوية ، سكهر ، باكستان .
- شرح العلامة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت : 1122هـ) على المواهب اللدنية للقسطلاني ، الطبعة الأولى (1325هـ) المطبعة الأزهرية بمصر.
- صحيح البخاري ، تاليف : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت : 256هـ) . مطبوعة جمعية المكنز الإسلامي ، القاهرة 1421هـ / 2001م .

- صحيح مسلم ، تأليف : مسلم بن الحجاج (ت : 261هـ) تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- الفردوس بمأثور الخطاب ، تأليف : أبي شجاع شيروية بن شهردار بن شيرويه الديلمي . (ت 509هـ) تحقيق : السعيد بن بسيوني زغلول ، الطبعة الأولى (1976م) دار الكتب العلمية ، بيروت .
- فقيه الإسلام (العطايا الرضوية في المسائل الشرعية) للدكتور حسن رضا رضا ، بتنه ، مطبعة تاج ، إله باد ، الهند . (1981م) .
- فيض القدير للعلامة عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الأولى (1356هـ) المكتبة التجارية الكبرى ، مصر .
- القصيدة الهمزية في مدح خير البرية للإمام الشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري (ت : 696هـ) طباعة مصر (1357م) .
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، تأليف : إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت : 1162هـ) الطبعة الرابعة (1405هـ) مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، المعروف بـ " الخصائص الكبرى " لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت : 911هـ) الطباعة الأولى (1320هـ) حيدر آباد دكن ، والطبعة الثانية (1984م) بغداد ، العراق .
- مجدد الألف الثاني للدكتور محمد مسعود ، م : إسلامك ببلشر ، دلهي ، الهند ، 1423هـ - 2003م .
- محمد الإنسان الكامل ، تأليف : السيد محمد بن السيد علوي المالكي الحسني ، الطبعة الأولى (2001م) مركز أهل السنة بركات رضا ، فوربندر ، غجرات ، الهند .
- المختصر في شرح البردة للإمام الشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد البوصيري (ت :696هـ) الطبعة الأولى (1422 هـ / 2001م) مركز أهل السنة بركات رضا ، فوربندر ، غوجرات ، (الهند) .
- مدارج النبوة للشاه عبد الحق المحدث الدهلوي ، مطبوعة المكتبة النورية الرضوية ، سكهر ، باكستان .

- المدح النبوي بين الغلو والإنصاف للسيد محمد بن علوي المالكي ، نشره : مركز أهل السنة ، بركات رضا ، فوربندر ، غجرات (الهند) الطبعة الأولى : 1422 هـ / 2001 م .
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا علي القاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات للإمام العلامة محمد مهدي الفاسي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، بمصر ، (1980م) .
- ومعجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) تاليف : عمر رضا الكحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى : 1993 م / 1414 هـ .
- المقاصد الحسنة في بيان كثيرمن الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، تأليف : الإمام الشيخ شمس الدين بن عبد الرحمان السخاوي (ت : 902هـ) صححه وعلق حواشيه ، عبد الله محمد الصديق ، الطبعة الأولى (1987م) دار الكتب العلمية ، بيروت .
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للعلامة أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب القسطلاني (ت : 923هـ) بشرح العلامة الزرقاني ، الطبعة الأولى (1325هـ) المطبعة الأزهرية بمصر .
- النثر الفني عند الشيخ الإمام أحمد رضا خان ، دراسة فنية وأسلوبية للأستاذ قاضي السيد عتيق الرحمن شاه البخاري ، نشره : إدارة تحقيقات الإمام أحمد رضا ، كراتشي ، 1424 هـ / 2003 م .
- نور الأبصار في مناقب بيت النبي المختار (صلى الله تعالى عليه وسلم) تأليف : الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغاليين ، تأليف : د. عداب محمود الحمش ، الطبعة الأولى (1407هـ) دار حسان للنشر والتوزيع ، الرياض .
- اليواقيت والجواهر للإمام عبد الوهاب الشعراني .

محتويات